

سلسلة اصدارات مركز النجف الأشرف

للتأليف والتوثيق والنشر (٣٢)

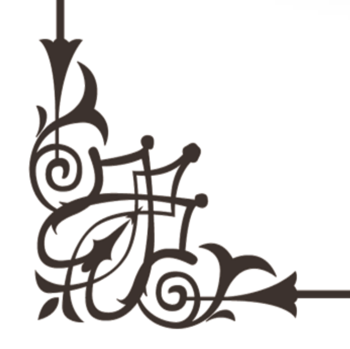
سلسلة محاضرات في الفكر والعقيدة

محاضرات في الفكر والعقيدة

اعداد

الاستاذ عز الدين الكرباسي (رحمه الله)









سلسلة محاضرات في الفكر والعقيدة/محاضرات في الفكر والعقيدة

هوية الكتاب

اسم الكتاب:.........محاضرات في الفكر والعقيدة

المؤلف:.........الاستذ عز الدين الكلباسي

الناشر:.........مركز النجف الأشرف للتأليف والتوثيق والنشر

الطبعة:.........الأولى

قطع الورق: ....وزيري (١٧×٢٤)

الإخراج والمتابعة الفنية:......... قسم الإخراج

سنة الطبع:......... ٢٠٢٠م ـ ١٤٤١ هـ

العنوان: العراق/ النجف الاشرف/شارع أبو صخير/ مقابل مجسرات ثورة العشرين/خلف مدرسة الامام المهدي/موبايل: ٠٧٨٠١٢٩٨٠٠٨


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المركز:

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد منّ الله سبحانه على مدينة النجف الاشرف فجعلها مثوى سيد البلغاء والمتكلمين، وامام الموحدين ابي الحسن علي بن ابي طالب عليه السلام، فكانت المدينة التي يليق بها ان تحتضن هذا الجثمان الطاهر علما وادبا وثقافة، ثم كان ان هاجر اليها شيخ الطائفة ابو الحسن الطوسي قدس سره ليجعلها مقر الدراسات الحوزوية، والمكان الآمن لنشر علوم اهل البيت عليهم السلام فأصبحت منذ ذلك الوقت كعبة للعلم والبحث والدراسة ومقراً للمرجعية الدينية للطائفة الشيعية.

وامتازت هذه المدينة اضافة الى ما ذكر عن باقي المدن الاسلامية والحواضر العربية بكثرة المجالس الفكرية الاسبوعية والشهرية والموسمية التي يرتادها كل طبقات المجتمع من الادباء والعلماء والشعراء والاكاديميون في مختلف العلوم والمعارف، تلقى فيها المحاضرات ويناقش المحاضرون بحرية تامة نقاشات علمية موضوعية تحترم الرأي والرأي الآخر.

أسهمت تلك المجالس بشكل كبير في صقل وبناء العقلية النجفية المثقفة فضلاً عن غيرها، من خلال ما تتناوله من شؤون مختلفة سواء كانت عامة أم خاصة وما يستجد في عالم السياسة وعالم المعرفة، و تثار في هذه

المجالس أيضاً المسائل الفكرية، وتشمل عادة علوم الفقه والأصول والتفسير والحديث والفلسفة والأدب.

ومن المصاديق البارزة لخريجي هذه المجالس المصنف رحمه الله فقد انخرط في أوائل عمره بالسلك الحوزوي ودرس عند آية الله العظمى السيد مسلم الحلي وآية الله العظمى السيد الشهيد الصدر قدست اسرارهم ولكن للظروف الصعبة التي مر بها العراق والحوزة العلمية الشريفة من اعتقالات واعدامات فقد اضطر الى ترك الدرس الحوزوي، ولحبه للمعرفة التجأ الى سماع الدروس بالكاسيت وحضور المجالس النجفية فكان ثمرة حضوره هذه المحاضرات التي دونها المصنف بدفاتر عديدة .

فعمل مركز النجف الاشرف للتأليف والتوثيق والنشر على نشر هذه المحاضرات للاستفادة منها ولتسليط الضوء على جانب مهم وعنصر فعال من عناصر هذه المدينة المباركة أعني مجالسها القيمة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مركز

النجف الأشرف

للتأليف والتوثيق والنشر

(محاضرة في الموت)

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ألبسكم الرياش، وأسبغ عليكم المعاش ولو أنّ أحداً يجد إلى البقاء سلماً، أو إلى دفع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام الذي سخّر له ملك الجنّ والإنس مع النبوّة وعظيم الزلفة، فلما استوفى طعمته، و استكمل مدّته، رمته قسيّ الفناء بنبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية، والمساكن معطلة، .....وورثها قومٌ آخرون)**[١].

عرِّفت التقوى بتعاريف كثيرة، وشُرحت بشروح مختلفة، بَيد أن أهمها هو تعريفها بأنْ لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفتقدك حيث أمرك.

وبعبارة أوضح: أن التقوى هي الالتزام بالواجبات والانتهاء عن المحرمات.

والإمام يضرب لنا مثلاً نبي الله سليمان، فيقول: لو كان هناك بقاء في هذه الدنيا لبقي نبي الله سليمان؛ لأن ما يوهم البقاء إما العزة الدنيوية أو الأخروية، وكلاهما كانا له بدرجةٍ لا يتيسّر لأي فرد من أفراد البشر العاديين تحصيلُ ذلك؛ فقد سخر له ملك الجن والأنس مع النبوة وعظيم الزلفة.

---

١ - نهج البلاغة: ٢/ ١٠٨.

وحيث إنه لم يبقَ بل مات – كما قال القرآن الكريم : (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ)[١] فهذا يعني أنه لا يوجد بقاءٌ لأي أحد في هذه الدنيا مهما كان يملك منها، ومهما كان مقامه عند الله عز وجل .

كأنّ سليمان كان من الذين ملكوا الدنيا حيث كانت الطيور والحيوانات ـ بل والرياح ـ مسخرةً له، يأمرها بالسير والحركة حيثما يشاء، فتمتثل له.

حتى أنه لما افتقد الهدهد هدّده بأنه إذا لم يجئه بعذر مقبول عن غيابه يذبحه أو يعذبه عذاباً شديداً، كما قال تعالى عن لسانه : (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ)[٢] .

وما دام الموت حقاً على كل إنسان، وأنه لم ينجُ منه حتى من ملَك الدنيا، وسخر له ملك الجن والإنس مع النبوة وعظيم الزلفة، فينبغي النظر في ما يترتب على الموت والاستعداد له.

يقال: إنه دخل رجل إلى مقبرةٍ، فوجد هناك سريراً مكتوباً عليه

انظر إليّ بعقلك أنا المعدّ لنقلك

أنا سرير المنايا كم سار مثلي بمثلك

---

[١] – سبأ/ ١٤.

[٢] – النمل/ ٢٠.

وهنيئاً لمن فرش قبره بالعمل الصالح، و(**بخ بخ لعالم علم فكف، وخاف البيات فأعدَّ واستعدَّ ، إنْ سئل نصح، وإن تُرك صمت، كلامه صواب، وسكوته من غير عيٍّ جواب**).

(**والويل لمن بلي بحرمان وخذلان وعصيان فاستحسن لنفسه ما يكرهه من غير وأزرى على الناس بمثل ما يأتي**)، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه.

وهناك ثلاثةٌ يصحبون المرء في حياته :

أحدهم: يذهب عنه بمجرد وفاته، وهو المال.

والثاني: يوصله إلى قبره، وهو الولد.

والثالث: ينزل معه في القبر، وهو عمله .

وينقسم الخلائق يوم المحشر إلى ثلاثة أقسام حسب أعمالهم، فقسم يخرج من قبره إلى الجنة مباشرة بلا حساب ولا كتاب، وهم الأنبياء والأئمة والصالحون الذين لا سيئات لهم قط.

وقسم يخرج من قبره إلى النار مباشرة، وهم الطالحون الذين ليس لديهم عمل صالح اصلاً.

وقسم يقف للحساب، فتوضع أعماله الحسنة والسيئة في الموازين .

وهؤلاء هم من خلطوا عملاً صالحاً بآخر سيئ، وهم نحن وأمثالنا كما تقول الآية الكريمة: (**فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ**)[١].

والمراد بأن أمه هاوية أنه يقذف على رأسه في النار .

ويقول الشيخ جعفر كاشف الغطاء مؤسس أسرة آل كاشف الغطاء: إن المراد بالموازيين المعنى المجازي المعنوي وإلا فليس هناك ميزان بالمعنى الحقيقي المادي.

والأعمال الصالحة التي ترجح كفة الحسنات كثيرة كبِرِّ الوالدين، وقضاء حاجة المؤمن، والصلاة على محمد و آل محمد، والإحسان إلى الغير ... إلى غير ذلك من الأعمال الصالحة الكثيرة، ومن جملة الأعمال الصالحة الثقيلة في الميزان البكاء على الحسين وزيارته وإقامة مجالس العزاء عليه...إلى غير ذلك من الأعمال الحسينية.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) لأبي هارون المكفوف:(**ومن ذُكر الحسين عنده، فخرج من عينيه من الدموع مقدار جناح ذبابة كان ثوابه على الله، ولم يرضَ له بدون الجنة**)[٢].

---

[١] – القارعة/ ٦–١١.

[٢] – جامع احاديث الشيعة: ١٢/ ٥٦.

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) : (**من ذُكرنا عنده، ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غُفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر**)[١].

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) للفضيل بن يسار: (**يا فضيل من ذَكَرنا أو ذُكرنا عنده، فخرج من عينيه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر**)[٢] . وورد نظيره عن بكر بن محد الأزدي.

ويقول الإمام الرضا (عليه السلام) لدعبل: (**يا دعبل من بكى على مصاب جدي الحسين غفر الله له ذنوبه البتة**)[٣].

ويقول الإمام الرضا (عليه السلام) للريان بن شبيب : (**يا ابن شبيب إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً ،قليلاً كان أو كثيراً**)[٤].

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) في زيارة الحسين (عليه السلام): (**من أتى الحسين (عليه السلام) عارفاً بحقه كتبه الله عز وجل في أعلى عليين**)[٥].

ويقول (عليه السلام): (**من زار قبر الحسين (عليه السلام) جعل ذنوبه جسراً على باب داره ثم عبرها كما يخلف أحدكم الجسر وراءه إذا عبر**)[٦] .

---

[١] – وسائل الشيعة: ١٤/ ٥٠١.

[٢] – وسائل الشيعة: ١٤/ ٥٠١.

[٣] – بحار الانزار: ٤٥/ ٢٥٧.

[٤] – وسائل الشيعة: ١٤/ ٥٠٢.

[٥] – وسائل الشيعة: ١٤/ ٤١٠.

[٦] – وسائل الشيعة: ١٤/ ٤١٧.

ويقول (عليه السلام): (**إن أيام زائري الحسين بن علي لا تُعد من آجالهم**)[1].

ويقول أبو الحسن الأول (عليه السلام): (**من أتى الحسين (عليه السلام) عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**)[2].

ويقول الرضا (عليه السلام) لابن شبيب : (**يا ابن شبيب إن سرك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين**)[3].

و أول من بكى عليه، وزاره هم أهل بيته الذين كانوا معه يوم عاشوراء ومن أبرزهم أخته الحوراء زينب.

---

١ – وسائل الشيعة: ١٤/ ٤١٤.

٢ – وسائل الشيعة: ١٤/ ٤١١.

٣ – وسائل الشيعة: ١٤/ ٤١٧.

(محاضرة في العقيلة زينب عليها السلام)

قال تعالى في محكم كتابه المجيد: (إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ)[1].

هذه الآية الكريمة تتعلق بموضوع لعله من أكثر المواضيع التصاقاً بوقتنا الحاضر؛ فإنها تتعلق بمكانة المرأة في المجتمع، ولا يخفى ما لهذا الموضوع من أهمية كبيرة في العصور المتأخرة.

وعلى العادة تتضمن الآية في القرآن الكريم مضامين متنوعة سنمر عليها إن شاء الله خلال البحث، إلا أن الركيزة ستكون في هذا الموضوع في مكانة المرأة في الحضارة الإسلامية.

القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة وما بعدها يحكي لنا قضية النبي سليمان (عليه السلام) والهدهد وبلقيس حيث أرسل النبي سليمان (عليه السلام) الهدهد إلى اليمن ليأتيه بخبر اليمن.

وأول شيء يتساءل عنه المفسرون هو أنه كيف خفي عن النبي سليمان (عليه السلام) خبر بلقيس، والحال أن سليمان نبي، فهو متصل بالسماء ومتصل بالله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية؟

---

[1] – النمل/ ٢٣.

والجواب:أنه ليس في هذا مشكلة؛ فإنه يمكن أن يقال: إن الله تبارك وتعالى هو أخفى خبرها عنه لحكمة هناك كما أخفي يوسف(عليه السلام) عن يعقوب(عليه السلام) لحكمة.

(إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ)

أسلوب القرآن الكريم في الحكاية – عن لسان الهدهد- عن كون الملكة هي بلقيس أسلوب فيه استهجان واستفظاع وتشنج، وأن هؤلاء القوم كيف تملكهم وتحكمهم امرأة؟

وفي الواقع أن هذا الذي استهجنه الهدهد من كون الملكة امرأة كان هو السائد في المجتمعات آنذاك، فالمجتمعات التي كانت آنذاك كانت توضع المرأة فيها على هامش الحياة .

ولنأخذ مثالاً على ذلك المجتمعات الأوربية في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي.

١- ففي فرنسا التي تعد أم الحريات ورائدة الثورات نجد أن المجمع الديني الفرنسي الذي انعقد سنة ١٥٨٦ م، هذا المجتمع قد انتهى من بعد بحوث طويلة إلى نتيجة أن الله تعالى خلق المرأة لتخدم الرجل.

٢- وهناك نصوص تاريخية تشير إلى أن المرأة قد بيعت في سنة ١٧٩٠ م في أسواق إنكلترا بشلنين.

٣- وكان هناك جدل بين فلاسفة توربت في قضية، وهي أن المرأة هل لها روح أو هي مجرد غريزة؟

وبعبارة أخرى: أن أفعالها هل هي أفعال عقلائية تخضع لميزان العقل أو هي غير عقلائية، ولا تخضع لميزان العقل، وإنما لها غرائز تسيرها كالحيوان ؟

أعاظم فلاسفة أوربا كانوا يذهبون إلى هذا اللون من الصراع والنزاع .

هذه هي الأجواء العامة المرتبطة بمكانة المرأة في المجتمعات الأوربية في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.

وأما الجو الإسلامي فهو احترام المرأة والتأكيد على وظيفتها المهمة والتي لا يمكن لغيرها أن يؤديها في بناء المجتمع كما تشير إليه نصوص متعددة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة المنقولة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام).

نعم في خصوص قضية تولي المرأة لشؤون المجتمع وتصديها منصب قيادة المجتمع ورئاسته هناك بعض النصوص الدينية التي تشير إلى مرجوحية تولي المرأة لهذا المنصب بحسب المنظور الإسلامي، فإن المؤرخين قد نقلوا أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما علم أن بنت كسرى قد وليت أمر فارس قال: (**لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة**)[١].

١ - البخاري: ٨/ ٩٧.

وهذا النص عندما يمر علماء المسلمين به يعدونه دليلاً على أن المرأة لا يحق لها أن تتولى منصب الولاية أو الخلافة العامة.

نعم قد يناقش في دلالة هذا الدليل من جهة أنه ينبغي النظر في نوع هذه القضية، وأنها قضية خارجية ناظرة إلى امرأة معينة أو قوم معينين وإلى زمان ومكان معينين، أو أنها قضية حقيقية ناظرة إلى أي امرأة أو أي قوم ولوا امرأة في أي زمان أو مكان من قبيل قوله تعالى: (**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**)[١] فإن هذا الحكم حكم عام يتناول كل سارق في أي زمان أو مكان وجد؟

وهذا باب من النقاش في هذا الدليل قد انفتح مؤخراً، وعلى الاحتمال الأول ـ أعني كون القضية خارجية ـ فلا يمكن أن يستفاد من النص المتقدم منع المرأة من تولي منصب قيادة المجتمع.

على أنه عندنا تيارات من ضمن المذاهب الإسلامية تعطي الحق للمرأة في أن تكون قاضية، وهناك بعض التيارات التي أعطتها الحق في أن تحكم بما تشهد به.

والقضاء يمثل مرتبة من مراتب الولاية وإن كان هو ولاية خاصة وضيقة، وليس هو ولاية وسيعة وعامة، فهو ولاية على المتنازعين في حدود ما له دخالة في فض الخصومة والنزاع بين الأطراف .

---

١ – المائدة/ ٣٨.

والخلاصة: أن الآية الكريمة تستبشع ظاهرة معينة على لسان الهدهد، فالهدهد قد تعجب واستقبح كون بلقيس ملكة على سبأ.

(نِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ)

هذه المرأة هي بلقيس كما هو معلوم ،و اسم ابيها شراحيل.

وهنا نقطة تؤلف مأخذاً في الحضارة الإسلامية، وهي أن بعض المفسرين يقول: إن أم بلقيس لم تكن من الإنس، بل كانت جنية اسمها بلعمة بنت شيصبان، وأن شرائح من العرب كانت تعتقد هذا الاعتقاد.

وفي الحقيقة أن كون العرب في الجاهلية يعتقدون هذا الاعتقاد أمر لا يهمنا، وإنما الذي يهمنا أن يجيء فقيه إسلامي يقول: إن هذا أمر جائز عقلاً، فإن جاز نقلاً فبها ونعمت.

وهذا ما يقوله ابن عربي؛ فإنه يقول: إنه يمكن للإنسان أن يتزوج جنية، ويلد منها كما يمكن للآدمية أن تتزوج جنياً، وتلد منه .

بل ذكر أنه من ينكر هذا فهو زنديق؛ إذ هو شيء جائز عقلاً، فيجوز نقلاً، وعليه فإذا دل النقل الصحيح عليه فلا منشأ لإنكاره ـ بعد فرض جوازه عقلاً وصحة النقل ـ إلا الزندقة، بل يقول بعض المفسرين: إن أساس الصراع بين ابني النبي آدم (عليه السلام) كان هو أن أحدهما قد أرسل الله له حورية لتصير زوجة له، بينما أُرسل إلى الآخر جنية لتصير زوجة له، فحدث الصراع بينهما؛ لأن كلاً منهما يريد الحورية، ويرفض الجنية .

مثل هذا الكلام ـ مضافاً إلى فساده ـ فيه مفاسد؛ فإنه على هذا الأساس قد يصنف المجتمع، ويقسم إلى قسمين، فيقال: هذا ابن آدمية، وهذا ابن جنية، كما قسم المجتمع في وقت وجود العبيد إلى ابن حرة وابن أمة، وكان يعيَّر الإنسان بكون واحد من العمودين له فيه عبودية، فيقال مثلاً: إن جده الخامس عشر ـ مثلاً ـ فيه عبودية، مضافاً إلى أن مثل هذا الكلام يفتح لنا باباً نضعه بجنب الأبواب التي تفتح علينا المشاكل؛ إذ يمكن على هذا أن تذهب المرأة، وتأتي بعد أشهر حاملاً، وتقول: إنها تزوجت جنياً، وتشتهر بهذا الكلام عن زناها وفجورها.

على أن هذا الكلام لا يثبت أمام الأدلة وفاسد بوضوح؛ فإن عالم الجن عالم آخر لا يرتبط بعالمنا، ولا يصح أن يقال: إن بعض بني آدم قد تزوجوا من الجن؛ لأن زوجة بني آدم لا تكون إلا منهم، ولا تكون جنية، وهكذا العكس **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)**[١] أي من جنسكم.

فتلخص: أن هذا اللون من الكلام لا يصمد أمام النقد.

ولنعد إلى الكلام في مسألة بلقيس، فقد ذكرنا أن هذه المرأة قد استغرب الهدهد من أنها كيف تملك قوم سبأ؟ وانجرّ الحديث بعد ذلك إلى تقولات نحن في غنى عنها ،نحن ينبغي أن نكون أبعد ما يكون عن الكلام في ما لا

١ – الروم/ ٢١.

يعنينا، ولا ينبغي أن نسوّد صفحات طويلة عريضة في أمثال هذه المواضيع الفارغة في أثناء تفسير الآيات الكريمة في القرآن الكريم، وهو مصدر حضارتنا وتشريعنا؛ فعلينا أن نعالج مشاكلنا منه، نعالجها من نبع السماء، ونبع السماء بعيد عن التخريف لا أن نذكر أمثال هذا الكلام الفارغ في كتب التفسير.

وبعد هذا لنعد إلى تكملة الآية الكريمة: (**إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**)

هذا العموم عموم كل شيء عموم مخصص بالحس، فالألفاظ العامة تارة يكون تخصصها بلفظ آخر، وتارة يكون تخصصها بالحس، فحينما تقول الآية الكريمة: (**وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ**) فليس المقصود أنه عندها كل شيء في الوجود فهل يوجد عندها طائرات او سيارات مثلاً؟. لا، فإذن ما هو المقصود من هذا العموم؟

و الجواب أن المقصود من أنها أوتيت من كل شيء يفتقر له الملك.

و بعبارة أخرى: أنها أوتيت كل الأشياء العظيمة كالأبهة والعظمة والسلاح والجيش والأموال وكل شيء يحتاجه مقام الملك.

ونظير مقامنا ـ أعني قوله تعالى : (**وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ**) - قوله تعالى (**تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ**)[١] في أن كل شيء لا يراد به العموم بل هو عام مخصص بالحس .

وبعضهم يقول: لا شيء بالوجود إلا وهو في القرآن الكريم، ولكن هذا الكلام غير تام، فالطائرة النفاثة أو المدفع أو الصاروخ مثلاً هل يوجد عليها دليل من القرآن الكريم؟

وهكذا غيرها من الأشياء الكثيرة التي لا يوجد في القرآن الكريم ما يدل عليها .

وليس هذا نقصاً في القرآن الكريم، فإن القرآن الكريم لم يؤتَ به ليكون واجداً لكل شيء في الوجود، وإنما هو كتاب تشريع العقائد وتنظيم العلاقات الفردية والاجتماعية.

القرآن الكريم كتاب الله تعالى هبط لبناء وصنع الإنسان وصنع المجتمع الأمثل، فهو ليس بصدد الإشارة لمثل هذه الأشياء.

نعم قد يشير بصورة عرضية إلى نظرية علمية أو سنّة من سنن الكون، ولكن ليس معنى هذا أن القرآن الكريم يشتمل على كل شيء في الوجود وعلى جميع العلوم والمعارف أولها عرش عظيم.

---

١ – النحل/ ٨٩.

العرش هو المكان المعد لجلوس الملوك أو فقل هو سرير الملك أو سرير الحكم ما شئت فعبر.

والمفسرون يقولون: إن طوله (٨) أذرع وإن عرضه (٤) أذرع وإنه كان مكللاً بالجواهر والأحجار الكريمة.

وهذه القضايا يطلبها الحكام غالباً من جهة أنهم يريدون أن يعطوا لأنفسهم زخماً ومكانة في قلوب الناس وأن يستحصلوا لأنفسهم من وراء ذلك مقام أبهة ورهبة.

و لكن الواقع أن المكانة لا تأتي من هنا، بل تأتي من جهات أخرى كالسيرة الحسنة بين الناس.

ولذا كان للنبي (صلى الله عليه وآله) نهج آخر في حياته (صلى الله عليه وآله) يغاير تماماً نهج الملوك في حياتهم.

يقول عمر بن الخطاب دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد جلس من نومه، وكان أثر الحصير بادياً في خده، يقول عمر: فدمعت عيناي، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) مالك يا عمر؟

فقلت: يا رسول الله، هذا كسرى وقيصر يرفلون بالحرير والديباج، وأنت يؤثر الحصير في خدك .

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، ونحن قوم أُجلت لنا طيباتنا في حياتنا الأخرى.

وفي الحقيقة أنه لا يقدم ولا يؤخر أن يكون فراشي حصير أو يكون مكاني سرير.

هذه اللفتة يلتفت بها أحد الشعراء، ويخاطب الإمام علياً (عليه السلام):

إني أتيتك أجتليك وأبتغي ... وِرداً فعندك للعطاش معين

وأغض طرفي أمام شوامخ ... وقع الزمان وأسّهنَّ متين

وأراك أكبر من حديث خلافةٍ ... يستامها مروان أو هارون

لك بالنفوس أمامة فيهون لو ... عصفت بك الشورى أو التعيين

فإذن: العرش الحقيقي هو العرش الذي يكون بالقلوب، فالذي يعيش من له عرش بالقلوب ومن له مكانة بالنفوس والأرواح، هذا هو الذي يعيش .

وأما من لا مكانة له بالقلوب، ومن هو مكروه، وتأباه النفوس، فلا يعيش إلا وهو خلق للعيش، فهو فاقد للعظمة الحقيقية إطلاقاً، مهما أراد أن يحشد من وسائل الأبهة والعظمة، والتاريخ خبر شاهد على ذلك، ومن أوضح الأمثلة على ذلك قضية الإمام زين العابدين (عليه السلام) التي أنشد الفرزدق على إثرها قصيدته الخالدة، هذه هي النقاط التي قصدنا الإشارة لها في هذه الآية الكريمة .

ولا بأس بالرجوع إلى مكانة المرأة في الإسلام وتقديره لها واهتمامه بها والوقوف عنده أكثر، فإنه من المواضيع المهمة.

فهل الإسلام نزل بالمرأة عن مستوى الرجل أو أن الإسلام لم ينزل بها عن مستوى الرجل ؟

و إنما طرحنا هذا السؤال؛ لأن جماعة من كتاب العرب يتهمون الإسلام أنه قد نزل بالمرأة عن مستوى الرجل، وأنه لم يعطِ المرأة مكانتها اللائقة بها .

وهذا معنى خطر؛ لأن المرأة نصف العالم، فإذا حشدنا المرأة ضد الإسلام، فهذا يعني أنّا قد حشدنا نصف العالم ضده، بل أن تحشد المرأة ضد الإسلام يعني تحشيد العالم كله ضده، ولماذا؟

لأن المرأة هي الأم، وهي الأخت، وهي الزوجة، وهي البنت، إلى غير ذلك من العناوين التي تتلبس بها، ومن الواضح أن الأم لها تأثير على أولادها، والأخت لها تأثير على أخيها، والزوجة لها تأثير على زوجها، والبنت لها تأثير على أبيها، فالمرأة قد تملك زمام قلب الرجل وزمام روحه، فإذا حشدنا المرأة ضد الإسلام، فهذا يعني أنّا قد حشدنا العالم كله ضده .

والجواب: أن هذا الكلام فاسد، فإن كلاً من الرجل والمرأة دخيلان في تكوين المجتمع الأمثل وإن اختلفت الأدوار كل منهما عن الآخر، فالإسلام قد حدد أدوار أو وظائف معينة للرجل واختلاف الأدوار، هذا ينشأ من جهة أن رجولة الرجل تقتضي أدواراً معينة تناسب الرجل ،و لا يناسبه غيرها، وأن أنوثة المرأة تقتضي أدواراً معينة تناسب أنوثة المرأة، ولا يناسبها غيرها،

وليس من جهة تفضيل أحدهما على الآخر، ومن الواضح أن وضع الشيء في مكانه لا يقتضي التفضيل.

فالبناء الذي نحن فيه مثلاً فيه مكان اسمه أرض، وفيه مكان اسمه سطح، وفيه مكان اسمه جدار، ولا يصح أن تقول: إن السطح أشرف من الأرض، على أن هذه هرطقة، فالسطح له وظيفة والأرض لها وظيفة، والجدار له وظيفة، والباب لها وظيفة .

وهكذا أعضاء الإنسان مثلاً، فإن لكل عضو دوراً لا يمكن أن يؤديه غيره، فإذن اختلاف الأدوار ووضع الشيء في مكانه المناسب له لا يستلزم التفضيل، بل هذه عملية توظيف ليس إلا.

واختلاف الأدوار هذا ينشأ من وجود فوارق بين الرجل والمرأة، فوارق نفسية وجسدية، فالرجل له نفسية معينة، والمرأة لها نفسية معينة، والرجل له جسم معين وأعضاء معينة، فالمسالة ليست مسألة تفضيل أصلاً، وليس للرجل تفضيل على المرأة في الإسلام أبداً.

وهناك عدة أدلة تدل على أن الإسلام قد أعطى المرأة مكانتها اللائقة بها كعنصر مهم في بناء المجتمعات.

الدليل الأول: أن الإسلام أعطى الولاية على نفسها؛ فإن الإمامية والأحناف على أن المرأة الراشدة العاقلة تستبد بزواجها، غاية ما في الأمر أنهم يشترطون في زواجها أن يكون الزوج كفؤا لها، والأحناف يفسرون الكفاءة

بكون الزوج من طبقتها الاجتماعية، وأما نحن فنقول: إن الكفاءة تتحقق بالإسلام فقط، فإذا كان كلا الزوجين مسلماً تحققت الكفاءة .

هذا ما يذهب إليه الأحناف والإمامية .

و أما الحنابل والشوافع والمالكية فيرون أن للولي الولاية على المرأة في الزواج، وليس لها استقلالية في ذلك .

الدليل الثاني: الإسلام أعطى المرأة ولاية على الأسرة، فلدينا بعض النظريات التي تتضمن أن حضانة الأم للولد لا تنتهي إلا بزواج الولد، وهكذا الحال بالنسبة للبنت، وكأن الأم لا ترى الولد إلا ذلك الطفل الصغير الذي ترضعه وتلاعبه وتداعبه فلا تراه إلا بهذه العين وإن بلغ ١٨ سنة.

وفي الحقيقة أن أمومة المرأة أهم إليها بكثير من أن تكون ملكة، فلو أمكننا أن نجري استفتاء نسأل فيه ملكات العالم هذا السؤال : وهو أنه لو خيرت بين أن تكوني ملكة، ولكن بدون أمومة، تحكمين مملكة، ولكن لا قدرة لك على النسل و بين أن تكون امرأة عادية لا تديرين أي مملكة، ولكن تملكين الأمومة.

هذا الفرض لو طرحناه فسيكون الجواب

أنها تختار الأمومة؛ لأن المرأة لو لم يكن لها ولد وأعطيتها الدنيا كلها تبقى تشعر بفراغ لا حدود له . إن لحظة من لحظات التناغم مع الطفل تساوي عند المرأة الدنيا بما فيها من متعة ولذائذ، هذا شيء مفروغ منه .

إن المرأة تمتلك عرشاً أهم من عرش الملك، وهو عرش الأمومة، وهذه هي الحقيقة؛ فإن المرأة صانعة الحياة، فهي المصنع الذي يخرج الأبطال .

فتلخص: أن ولاية الحضانة حينما أعطاها الإسلام للمرأة فقد أعطاها مكانة لا حدود لها .

الدليل الثالث: أن الحضارات السابقة لا تعطي المرأة ذمة مالية مستقلة، بل هي تابعة للرجل في ذمتها المالية، وبعبارة أخرى ليس للمرأة ملك خاص، أما الإسلام فقد أعطى للمرأة ذمة مالية مستقلة.

وبعبارة أخرى أعطاها الحق في أن تكون لها ملكية خاصة، فلها الحق في أن تتصرف بأموالها كيف تشاء، تبيع، وتشتري وتهب وغير ذلك.

الدليل الرابع: الإسلام أعطى المرأة حق التعلم، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. فإذا كانت الحضارات الأخرى أعطتها حق التعلم بنحو الإباحة فالإسلام قد اعتبره فريضة عليها.

ولماذا كان طلب العلم فريضة عليها؟

الجواب أن المرأة الجاهلة خطرها متوقع على الولد؛ لأن المرأة إذا لم يكن لها وعي وعلم وإدراك فهي كامرأة جالسة في غرفة أبوابها مؤصدة بحيث تكون بمعزل عن العالم الخارجي، أما المرأة المتعلمة فلها منفذ على الحياة وعلى الأفكار الموجودة في الدنيا؛ لأن العلم منفذ يرى المرء من خلاله الأفكار والتيارات والاتجاهات المختلفة في الحياة .

وقد تقول: نحن نرى أن أجيالنا السابقة كان لهم صفات قد تفتقدها الأجيال في الوقت الحاضر على رغم أن أمهاتهم كُنَّ بسيطات غير متعلمات بالدرجة التي عليها أمهات الأجيال في الوقت الحاضر؛ فإن الأجيال السابقة كانت تمتلك من الأخلاق والمعاني الكريمة ما تفتقده الأجيال في الوقت الحاضر.

و الجواب: أن هذا الهبوط في المستوى المعنوي ليس بسبب العلم، فالعلم لم يكن في يوم من الأيام ضرراً على المرأة، وإنما هو من جهة أن المرأة بدأت تغفل عن مهمتها الأساسية التي هي صنع الأجيال، وتشتغل بقضايا جانبية .

وإذا ما تغافلت النساء أكثر عن هذه المهمة فلا يرتقب في الأجيال القادمة إلا أن تكون أجيالاً ممسوخة.

و ما الضعف الذي أصاب مجتمعاتنا الإسلامية ـ حيث أنه يتعرض بين الحين والآخر إلى ضربات موجعة ومهينة من قبل القوى الغربية ـ إلا نتيجة ضعف أبناء المجتمع.

نحن بحاجة الآن إلى أجيال تعيد لنا كرامتنا، تعيد لنا مكانتنا في الحضارة الإنسانية.كنا في السابق حفنة من البدو، واستطعنا أن نجتاح العالم بسلاح العلم والعقيدة، فلا ينبغي الآن أن نقف منتظرين لضربات الكف على وجوهنا يميناً وشمالاً، فأجيالنا لا بد أن يكون وضعها أحسن مما هي عليه الآن.

وقد تقول: توجد في حضارتكم نظريات تتضمن أن المرأة ينبغي أن تبقى جاهلة؛ إذ إن بعض المفسرين يقول: لا تعلموا المرأة سورة يوسف، ولا تعلموها الغزل.

ولكن هذا الكلام لا يعتمد عليه؛ إذ إنّا إذا وجدنا أن شخصاً أو أكثر قليلاً يقولون هذا فليس معناه أن رأي هؤلاء يشكل الشريحة السائدة، بل بالعكس؛ فإن جميع فقهاء المسلمين حينما يمرون بالمرأة في أبواب الفقه يعطون المرأة حقوقها كاملة، ومنها حق التعلم، فمن حقها أن تطلب العلم إلا أن يفسد العلم عفتها، ويصطدم بالأخلاق التي ينبغي أن تكون عليها المرأة، فإن العلم إذا اصطدم بالأخلاق يصبح كارثة كما استعانت المرأة بالعلم لتحصيل بعض الأغراض الفاسدة.

الدليل الخامس: أن الإسلام أعطى المرأة حق التعليم، بل إن المعروف عن محمد بن جرير الطبري أنه يفتي أن المرأة لها الحق في أن تكون قاضية ، و يرفض مقالته هذه القرطبي وجماعته، فذكروا أن مقالته هذه غير صحيحة .

ولكن لماذا لا تقبلون ذلك، والحال أنكم تروون أن بعض النساء كنَّ فقيهات، ولهن تلاميذ، بل إن بعض أئمة المذاهب الإسلامية تتلمذ على المرأة، فالإمام الشافعي تتلمذ على السيدة نفسية بنت الحسن، والذهبي صاحب ميزان الاعتدال معظم رواته من النساء، وابن عساكر روى عن ١٨١ امرأة، فيوجد عدد ضخم من النساء هنَّ رواته ومصادره في رواياته .فإذا كان من

حق المرأة أن تكون فقيهة ومدرسة وأستاذة لعلماء كبار من أمثال من تقدم، فلِمَ لا يكون من حقها أن تكون قاضية؛ فإن القضاء هو حل الخصومة لا أكثر، والفقيه من حقه أن يصدر حكماً وأن يصدر فتوى وأن يقضي، والمفروض أنها يمكن أن تكون فقيهة.

فنحن نستغرب من تشديد القرطبي وجماعته النكير على الطبري في رأيه المتقدم، والحال أنه هو شخصياً يقول بأنها قد تصل لدرجات عالية من العلم بحيث تصير مجتهدة بل أستاذة لبعض الفقهاء.

وكان هناك جماعة يأخذون بعض الأحكام من فاطمة الزهراء (عليها السلام).

وكان بعض المسلمين إذا أشكل عليهم شيء يأتون لبعض نساء النبي، ويسألون منهن بعض المسائل الفقهية، بل حتى كانوا يسألونهن عن تفسير بعض الآيات الكريمة، فمثلاً دخل في يوم من الأيام جماعة من الصحابة على عائشة وسألوها عن هذه الآية الكريمة :(**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**)[1] وأنه ما الربط بين اليتامى وبين الأمر بالزواج، حيث لا يعرفون وجه الربط بين الشرط والجزاء.

---

[1] – النساء/ ٣.

فقالت: إن الناس في صدر الإسلام حينما كانوا يربون اليتيمات في بيوتهن فقد تملأ عينه، ويرغب بالزواج منها حينما تكبر، ولكنهم كانوا يخشون من الزواج منهن لخشية أن يكون الزواج بهن سبباً لأكل مالهن، حيث إنه بعد الزواج بهن يكون مسلطاً على مالهن أكثر، ويكون المال تحت يده وتحت تصرفه والآية الكريمة (**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**)[١] فيمتنعون من الزواج بهن لهذه العلة، فالآية الكريمة تقول: إذا كنتم تخشون الزواج بهن لهذه العلة فتوجد نساء أخريات يمكنكم الزواج منهن ما طاب لكم من العدد مثنى وثلاث ورباع.

فالمسألة أشكلت عليهم، وحاولوا الحصول على جوابها من بعض نساء النبي (صلى الله عليه وآله).

كما أن جملة من النساء المسلمات كانت تأخذ هذا الدور أيضاً، فتقوم بدور الفقيه أو المفسر أو نحو ذلك.

فتلخص: أن الإسلام أعطى حقاً للتعلم والتعليم .

الدليل السادس: أن الإسلام أعطى المرأة حق الامتناع من أداء بعض ما نتصور أنه من وظيفتها كخدمة البيت وإرضاع الطفل، فليس للرجل إجبارها على ذلك .

١ – النساء/ ١٠.

وهذا الموضوع واسع، وليس غرضنا استيعاب جميع أطرافه، وإنما غرضنا بيان أن الأمر ليس كما يريد أن يصوره البعض ممن يريد تشويه صورة الإسلام من أن الإسلام جعل المرأة على هامش الحياة، فإن هذا غير صحيح إطلاقاً، بل الأمر بالعكس؛ فإن الإسلام جعل المرأة تملك عرش البيت، وجعل الرجل في خدمة المرأة، فإن الرجل مكلف بالعمل لتوفير المأوى والمسكن للزوجة فتراه يعمل الأعمال الشاقة، وقد تلفحه أشعة الشمس المحرقة في سبيل تحصيل المال وتوفير رغيف الخبز لأهله وعياله، والمرأة جالسة في بيتها معززة مكرمة مكفولة ليس عليها شيء. وإذا رجعنا إلى تاريخنا الإسلامي نلحظ أن أبعاد الحياة الإسلامية كان فيها نماذج راقية من النساء، بل نلحظ أنها شاركت في كل أبعاد الحياة الإسلامية.

ولنضرب بعض الأمثلة لذلك:

كانت نسيبة بنت كعب المازنية أم عمارة تقوم يوم أحد بوظيفة الطبيبة والممرضة، كما كانت تقاتل وتصارع الأبطال، وتأخذ بثأر ولدها.

وقد ضربت (١٣) ضربة، ووقعت واحدة من الضربات على عاتقها بحيث يقول المؤرخون: إن يدها انهدت، وأصبحت عاجزة عن رفعها بحيث لو أدخل الرجل يده في جوف كتفها لدخلت.

وقاموا بتضميدها، فحملت قتلاها ورجعت.

وقد سألها بعض الناس، وهي في طريق العودة عمن تحملهم فأجابتهم أن رسول الله (ﷺ) بخير، لا تسألني عن هؤلاء، بل اسألني عن رسول الله (ص).

فهذه المرأة نموذج من النماذج المشرفة حقاً.

نموذج آخر من النماذج المشرفة الخنساء، فإنه كان لها (٤) إخوة كلهم قتلوا في حرب القادسية، ولم يبق لها أحد، وبعد أن علمت بخبر شهادتهم قالت: الحمد لله الذي أكرمني بشهادتهم، وأرجو من الله أن يجمعني معهم في ظل رحمته.

حقاً أن هذا الموقف يهزك، فهذه نفوس تتدفق عنفواناً، نفوس مملوءة كرامة.

فالإسلام أعطى المرأة الحرية في أن تدخل في مواساة الرجل في كل ميدان من ميادين الحياة حتى في الحرب، فقد أعطى المرأة حقاً في أن تحمل السلاح، و في أن تكون مقاتلة ومكافحة.

فإذا عرفت هذا تعرف أن دعوى أن الإسلام جعل الرجل في القمة والمرأة في هامش الحياة هي ضربة وادعاء باطل، وعلى المرأة المسلمة أن تنتبه لهذه الأصابع الخبيثة اللئيمة التي تريد إبعادها عن الإسلام.

والإسلام إذا أصر على شيء فكل ما أصر عليه هو أن لا تفسد فطرتها، وإذا ألح على شيء فكل ما ألحّ عليه هو أن لا تتخذ المرأة مجرد دمية وغريزة

لأن للمرأة عقل وبطولة كالرجل، وهي صانعة رجال، وهي بانية أسرة ومجتمع.

وعلى المرأة أن تفتح عينيها على المجتمعات الغربية، وتنظر أن الغرب هل هو مكرم للمرأة أو مهين لها؟

فإذا ما لحظت ذلك ستجد أن المرأة في الغرب سلعة تباع وتشترى وإذا أعطى الغرب المرأة شيئا فكل ما اعطاها انه اباح لها ان تكشف عن أعضائها و ان تكون عارية و هل هذه هي الحياة فالحياة أكرم من هذا بكثير.

وانطلاقاً من هذا فلنأخذ نموذجاً مشرقا من المرأة، و هي السيدة زينب (عليها السلام) بنت أمير المؤمنين(عليه السلام).

وينبغي أن نمر بالأجواء التي عاشت فيها هذه المرأة حتى نتعرف على تفاصيل حياتها بشكل أدق.

ولدت العقيلة بعد الحسين (عليه السلام) بسنتين، فهي الوليدة الثالثة للزهراء (عليها السلام) بعد الحسن والحسين (عليهما السلام) و قد أدركت الرسول (صلى الله عليه وآله) لبعض السنين، وكان الرسول (صلى الله عليه وآله) يتنبأ لها بأثر في خدمة الإسلام وهي في طفولتها، حيث يقول المؤرخون: إن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان إذا دخل بيت فاطمة (عليها السلام) يأخذ هذه الطفلة ويهتم بها .

ومرة أو مرتين لمحت الزهراء(عليها السلام) الرسول حزيناً، ورأت الدمع في عينيه، فقالت له : ما أراك تسر بواحد من أولادي، كلما تأخذ واحداً من أولادي أراك منفعلاً، والدمعة في عينيك .

فقال (ﷺ): هذه الطفلة لها موقف يوم الطف، وأنا أعرف ما يجري عليها .

وكأنه أهاج وجد النبي(ﷺ) صنيع المسلمين بأهل بيته وبابنته هذه، وأن المسلمين سوف لا يعطون هذه المرأة الطاهرة حقها من الرعاية .

وقد عاشت العقيلة في أجواء وكأن لها أثر في تأكيد روح البطولة والشجاعة الموجودة فيها، فقد نشأ في أجواء السنة الخامسة للهجرة حيث كان المسلمون في عنفوان الصراع مع الكفرة .

وبعبارة أخرى : نتمكن أن نقول: إنها عانت في ما يشابه ساحات الجهاد حيث أن الفترة التي عاشت فيها العقيلة (عليها السلام) كانت فترة جهاد وقتال، فالمسلمون كانوا بشكل متواصل ذاهبين راجعين لساحات القتال. بيوتهم مملوءة مرضى قتلى.

والخلاصة: أن أجواء بيوت المسلمين في تلك الفترة أجواء حرب، وبالخصوص بيت العقيلة (عليها السلام) فهو بيت من؟

هو بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي كان بيته امتداداً لساحات القتال فمن ناحية أبيها علي (عليه السلام) تسمعه إذا أراد أن ينزل للحرب يصيح :

قد عرف الحرب العوان أنني بازل عامين حديث سنٍّ
سنحنح الليل كأنني جنّي أستقبل الحرب بكل فنٍّ
معي سلاحي ومعي مِجنّي وصارم يُذهب كل ضِغنِ
أقصي به كل عدو عني لمثل هذا ولدتني أمي

تسمع هذا الصوت يملأ آذانها.

ومن ناحية أخرى ترى أخويها الحسن والحسين (عليهما السلام) يرجعان من المعركة وآثار القتال بادية عليهما .

فالعقيلة زينب (عليها السلام) عاشت شطراً من عصر الرسالة، ولما انتهى عصر الرسالة مرت عليها عدة عصور، عصر أمها فاطمة (عليها السلام) عصر أبيها أمير المؤمنين(عليه السلام) عصر أخيها الحسن (عليه السلام) وعصر أخيها الحسين (عليه السلام).

وهنا نكتة ينبغي التنويه لها، وهي أن الحوراء زينب (عليها السلام) ما كانت تفارق الحسين (عليه السلام) حتى بعد زواجها إطلاقاً؛ لأنها وإن تزوجت من ابن عمها عبد الله بن جعفر، وكان من أثرياء قريش، وكان بيته بيت عز وبيت مجد وبيت كرم إلا أن هذا كله لم يستأثر بشيء من حياتها حيث كانت دائماً تترك هذا البيت، وتذهب إلى بيت الحسين (عليه السلام).

ولدت الحوراء زينب (عليها السلام) لعبد الله بن جعفر أربعة أولاد، ثلاثة ذكور وواحدة من الإناث، وهم علي، وهو المعروف بعلي الزينبي الذي

منه النسل وعباس وعون وأم كلثوم، هؤلاء هم أولادها من عبد الله بن جعفر.

وعباس يمر عليه المؤرخون مروراً عابراً من دون أن يسلطوا الأضواء عليه إلا أنهم يسلطون الأضواء على علي وعون، فيقولون بأنهما قتلا بالطف. وهنا نلحظ أنه لما استشهدوا لم يأخذوا من قلب العقلية شيئاً مما أخذه مصرع الحسين (عليه السلام) منها، مع العلم أن الولد يستأثر بحب الأبوين .

وهذا إن دل على شيء فيدل على عظم إيمان الحوراء زينب .

والخلاصة: أن هذا البيت بجميع ما فيه من أسباب النعمة والثراء لم يكن يشغلها عن الحسين (عليه السلام) وأنت تعرف أن المرأة لا يملأ عينها غير بيتها وزوجها وأولادها، ولكن مع ذلك نلحظ أن الحوراء زينب (عليها السلام) كانت معرضة عن هذا النعيم وعن هذه المكانة، وكانت ملتصقة بالحسين (عليه السلام) إلى جانبه دائماً لا تفارقه حتى قبل حصول واقعة الطف .

ولما صارت واقعة الطف بدأ الحسين (عليه السلام) يخطط، وأول ما وضع من تخطيط هو تقسيم أدوار أهل بيته وأصحابه إلى القتال، وهو ما قام به (روحي فداه) وأهل بيته وأصحابه، وإلى دور إعلام، وهو ما قامت به الحوراء زينب (عليها السلام) حيث لحظ أن المعركة تحتاج إلى إعلام، و تحتاج إلى بيرق وسيف؛ وذلك لأنه من المؤكد أن واقعة الطف لو كانت بدون إعلام لكانت قد مسخت أهداف الثورة الحسينية برمتها؛ فإن هناك أقلاماً تحاول أن تلقي

باللائمة على الحسين (عليه السلام) لا على عدوه، فمثلاً إذا قرأنا كتاب رأس الحسين (عليه السلام) لابن تيمية أو كتاب منهاج السنة له وجدنا أن هذا الرجل يحمّل الإمام الحسين (عليه السلام) كامل المسؤولية في ثورته، ويلقي باللائمة عليه (عليه السلام).

وهكذا بالنسبة إلى وقعةالحرة، فإنه يحمل أهل الحرة كامل المسؤولية في خروجهم على يزيد.

ويقول:إن الحسين (عليه السلام) وأهل الحرة لو جلسوا في بيوتهم لم يحركوا ساكناً لكان خيراً للأمة؛ لأن هؤلاء ما جنوا شيئاً من وراء خروجهم سوى الإفساد وشق عصا المسلمين؛ فإنه لم يترتب شيء على نهضتهم سوى إحداث الفرقة والخلاف عند المسلمين.

وفي الحقيقة أن هذا الكلام لا يصدر من إنسان موضوعي، ويا للأسف أن يقال مثل هذا الكلام عن هذه الثورة العظيمة، وذلك لأن الحسين (عليه السلام) جذوة في ضمير الأئمة الإسلامية، الحسين (عليه السلام) لم ينهض إلا بعد ما رأى أن الإسلام بدأ يتداعى، وأنه إذا لم تعد هذه الجذوة في ضمير الأئمة الإسلامية فإن هذه الجذوة سوف تموت، وبالتالي فينهار المشروع الإسلامي الذي جاء به جده الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وضحى فيه من أجله هو وأهل بيته بالغالي والنفيس.

فالحسين (عليه السلام) لم يخرج لهواً ولا حباً للقراع، و إنما خرج لهذا الهدف السامي، خرج ليدافع ويكافح عن دين الله (عز و جل).

كما قال سلام الله عليه: (**ما خرجت أشراً ولا بطراً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي**).

فالحسين(عليه السلام) رأى أنه يوجد عدة ساحات للمعركة لا بد أن يملأها ليحقق الانتصار فعنده ساحة لا بد أن يملأها جثثاً، وهذا الجانب قد جند له نفسه وأهل بيته، وعنده ساحة ثانية لا بد أنْ يملأها بيان وشرح لأسرار النهضة. وهذا الجانب قد جند له أخته الحوراء زينب (عليها السلام).

جاء يوم العاشر، وحدثت المعركة و انجلت، وإذا بالساحة مملوءة بالأجساد والضحايا، وإذا أخت الحسين تقف ذلك الموقف المشرف في يوم العاشر وما بعده .

وفي الحقيقة أنك حينما تتأمل سيرة هذه المرأة فإنها تهزك من أعماقك؛ لأن المرأة كما تعرف عادة ما تكون رقيقة جداً بحيث، تتهاوى وتتهالك إذا ما رأت طفلاً من أطفالها يقتل أمامها مع أننا نجد أن العقيلة رأت ولدين من أولادها مقتولين أمامها، وهكذا رأت عشرة من إخوتها مقتولين أمامها، وهكذا رأت أولاد عمومتها مقتولين أمامها بحيث لم يبقَ لها أحد من الأسرة، كلها جزرت جزر الأضاحي، ومع ذلك فقد أدت واجبها على أتم وجه .

فهذه المرأة رغم أنه قد مرت عليها ظروف هي غاية بالقسوة إلا أنها قد تحملت مسؤولياتها وأدتها بدون أي تقصير من رعاية الأطفال ومن حماية

العيال ... إلى غير ذلك، هذه القضايا كلها تحملتها بذلك القلب وبذلك الصمت بدون أي تضجّر وتململ .

وقفت وصمدت أمام الأعداء منتصبة القامة عملاقة النفس إلى أن انتهى بها الأمر إلى ذلك الموقف الذي خلده التاريخ .

وفعلاً هذا الذي نبأت به الحوراء زينب (عليها السلام) من أن العاقبة هي للحسين (عليه السلام) وأهل بيته قد حصل.

مُرّ على ضريح الحوراء زينب (عليها لسلام) تجد أن هذا الضريح تنضحه الدموع، وتلتف حوله الآهات، ويحتضنه الحب والتقدير والإجلال لهذا الموقف العظيم الذي وقفته العقيلة زينب (عليها السلام) في النهضة الحسينية .

و أما يزيد وأتباعه فماذا اكتسبوا غير الخزي والعار في الدنيا والآخرة .

بقي موقفها يدوي في أعماق التاريخ حيث صعقت يزيد وأتباعه بصرخة الحق المدوية التي تجلت في خطبتها العظيمة والتي جاء فيها :(**فكد كيدك واسعَ سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا، وهل رأيك إلا فند وجمعك إلابدد وأيامك إلا عدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين**) هذا الموقف هز الكيان الأموي المتمثل بيزيد من أعماقه مما جعله يأمر بإخراج الحوراء زينب (عليها السلام) من المجلس وأخذوها للخربة .

وهنا انتهى دور الإعلام بالنسبة لها، وجاء دور اللوعة .

دخلت الخربة فواجهها رأس الحسين (عليه السلام) منصوباً على الجدار، عندها مرت الآلام عليها عليها أحزاناً و آهات وزفرات تحرق قلبها فأرادت أن تبثها إلى أخيها، فتوجهت إلى الرأس المنصوب على الجدار، وبدأت تطرح آلامها أمام أخيها، أمام القلب الرؤوف الذي كان يحتضنها طيلة حياتها، أمام الروح الكريمة التي كانت تظللها.

فسلام عليها يوم ولدت وبوم تموت ويوم تبعث حيا

(السنن الإلهية)

قال تعالى: (**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ . مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**) الأعراف:٩٦.

هناك عدة نصوص قرآنية تشير إلى وجود سنة الله تعالى في خلقه، وفيما يأتي نشير إلى الآيات الكريمة التي تضمنت ذلك:

١ - (**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ**) الأنفال: ٣٨.

٢- قال تعالى: (**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ**) الكهف:٥٥.

٣- قال تعالى: (**كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ . لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ**) الحجر:١٣.

٤- قال تعالى : (**مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ . سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ . وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا**) الأحزاب :٣٨.

٥- قال تعالى: (**فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا . سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ . وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ**) غافر :٨٥.

٦- قال تعالى: (**وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا . وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلً من الأرض ليخرجوك منها وإذن لا يلبثون**

خلافك إلا قليلاً سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً) الإسراء:٧٦-٧٧.

٧- قال تعالى: (**مَّلْعُونِينَ ۚ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا . سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**) الأحزاب:٦١-٦٢.

٨- قال تعالى: (**اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا**) فاطر:٤٣.

٩- قال تعالى: (**وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)الفتح٢٢**.

ويمكن أن نعد ما تشير إليه الآية الكريمة المتقدمة سنة من سنن الله تعالى الكونية.

وهذه السنة ترتبط بالتغير النفسي، فإن تغير المجتمع الإنساني والتغيرات الكونية ترتبط بحسب النظرية القرآنية بالتغير النفسي.

وهناك آيات كريمة متعددة تشير إلى هذه السنة الإلهية الكونية من قبيل الآية الكريمة المتقدمة، ومن قبيل قوله تعالى:(**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**) الرعد:١١.

ومن قبيل قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ . وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ) المائدة : ٩٦.

ومن قبيل قوله تعالى: (وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًاأسقيناهم ماءاً غدقاً) الجن:١٦.

ومن قبيل قوله تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ)الروم:٤١.

ومن قبيل قوله تعالى: (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)النحل:١١٢.

ومن قبيل قوله تعالى حكاية عن النبي هود (عليه السلام): (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ)هود:٥٢.

ومن قبيل قوله تعالى حكاية عن النبي نوح (عليه السلام): (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا)نوح:١٠.

وقد أشار صاحب الجواهر (قدس سره) إلى هذه السنة الإلهية، وأشار للنصوص القرآنية المتقدمة كما أشار لعدة نصوص من السنة الشريفة في هذا المجال .

فلاحظ الجواهر في صلاة الاستسقاء[١] قال ما نصه.

(واعلم أن السبب الأصلي والباعث الكلي في عوز الأنهار واحتباس الأمطار وظهوره الغلاء والجدب وسائر علامات الغضب شيوع المعصية وكفران النعمة والتمادي في البغي والعدوان ومنع الحقوق والتطفيف في المكيال والميزان والظلم والغدر وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونقص المكيال والميزان ومنع الزكاة والحكم بغير ما أنزل الله ونحو ذلك من المعاصي التي تخرق الأستار وتغضب الجبار ، قال الله تعالى: (**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**) وقال سبحانه: (**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**) .....وذكر الآيات التي ذكرناها.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (**إذا غضب الله تبارك وتعالى على أمة ولم ينزل عليها العذاب – أي عذاب الاستئصال – غلت أسعارها ، وقصرت أعمارها ، ولم تربح تجارتها ، ولم تزك ثمارها ، ولم تغزر أنهارها ، وحبس عنها أمطارها ، وسلط الله عليها أشرارها**).

---

[١] – جواهر الكلام / الشيخ الجواهري : ١٢ / ١٢٧ – ١٣٣.

وقال (صلى الله عليه وآله) أيضا: (خمس خصال إن أدركتموها فتعوذوا بالله من النار لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم تمنع الزكاة إلا منع القطر من السماء ، فلولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله ورسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم ، فأخذ بعض ما في أيديهم ، ولم يحكموا بغير ما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم).

وقال الباقر (عليه السلام): (أما أنه ليس سنة أقل مطرا من سنة ، ولكن الله يضعه حيث يشاء ، إن الله جل جلاله إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدر لهم من المطر في تلك السنة إلى غيرهم وإلى النبات والبحار والجبال).

وقال الصادق (عليه السلام): (إذا فشى أربعة ظهرت أربعة إذا فشى الزنا ظهرت الزلزلة ، وإذ فشى الجور في الحكم احتبس القطر – إلى أن قال – : وإذا منعوا الزكاة ظهرت الحاجة).

وقال الرضا (عليه السلام): (إذا كذب الولاة حبس المطر، وإذا جار السلطان هانت الدولة ، وإذا حبست الزكاة ماتت المواشي).

وفي حديث: (إن الله تعالى أوحى إلى شعيب أني معذب أربعين ألفا من شرار قومك وستين ألفا من خيارهم فقال : هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ قال : إنهم داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي).

وفي حديث عقوبات المعاصي (**الذنوب التي تغير النعم البغي ، والذنوب التي تورث الندم القتل ، والتي تنزل النقم الظلم ، والتي تهتك الستور شرب الخمر ، والتي تحبس الرزق الزنا ، والتي تعجل الفناء قطيعة الرحم ، والتي ترد الدعاء وتظلم الهواء عقوق الوالدين**).

وفي الخبر: (**إن أسرع الشر عقوبة البغي**).

وقال أحدهم (عليهم السلام) مشيرا إلى فتوى نقلت له عن بعض الناس: (**من هذا وأشباهه تحبس السماء قطرها**).

إلى غير ذلك من الآيات والأخبار التي هي أكثر من أن تحصى.

ولعل أعظم أسباب حلول النقم وتحويل النعم احتقار النعمة وبطر المعيشة والاستهانة بجلائل النعم التي أنعم الله بها على عباده ، خصوصا الخبز ، فقد أمرنا بإكرامه وتعظيمه وقد ورد أن من إكرامه أن لا يشم ولا يقطع ولا يوطأ ولا يوضع تحت القصع.

وكذا الاستهانة بالمائدة ووطئها بالرجل، بل عن الصادق (عليه السلام)قال: (**لقد دخلت على أبي العباس وقد أخذ القوم المجلس ، فمد يده إلي والسفرة بين يديه موضوعة ، فأخذ بيدي فذهبت لأخطو إليه فوقعت رجلي على طرف السفرة فدخلني من ذلك ما شاء الله أن يدخلني ، إن الله يقول : فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين**) إلى آخر الآية.

ولقد أصاب الأمم السالفة بكفران النعم والاستهانة بها ما قصة الله تعالى في كتابه العزيز ، وورد تفصيله في الأخبار المروية عن النبي والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) وحسبك من ذلك قصة سبأ وأصحاب الثرثار وغير هم، والذين في قصصهم عبرة لأولي الأبصار.

والذي ينبغي للناس إذا ظهرت مخائل الجدب والغلاء أن يفزعوا إلى الله تعالى، ويلحوا في الدعاء ليلا ونهارا سرا وجهارا عن صدر نقي وقلب تقي وإخبات وإخلاص خوفا وطمعا، فإن ذلك يحرك سحاب الجود ويستعطف كرم المعبود.

كيف لا والدعاء من مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح، والمناجاة سبب النجاة ، ولا بالإخلاص يكون الخلاص وإذا اشتد الفزع فإلى الله المفزع، وقد قال الله سبحانه: (**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**)، وقال: (**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**)، وقال عز وجل: (**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (**ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدر أرزاقكم ؟ قالوا : بلى ، قال : تدعون ربكم بالليل والنهار ، فإن سلاح المؤمن الدعاء**).

وقال (صلى الله عليه وآله): (**الدعاء سلاح المؤمن ، وعمود الدين ، ونور السماوات والأرضين**).

وقال أبو جعفر محمد بن علي (عليه السلام): **(ما من شئ أفضل عند الله من أن يسأل ويطلب ما عنده ، وما من أحد أبغض إلى الله ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده).**

وقال أبو عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام): **(الدعاء كهف الإجابة كما أن السحاب كهف المطر).**

وعنه (عليه السلام)**(الدعاء يرد القضاء بعد ما أبرم إبراما ، فأكثروا من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ، ونجاح كل حاجة ، ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء ، وأنه ليس باب يكثر قرعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه).**

(وما أبرز عبده يده إلى الله العزيز الجبار إلا استحى أن يردها صفرا حتى يجعل فيها من فضل رحمته).

وعنه(عليه السلام)**(ما اجتمع أربعة رهط قط على أمر واحد فدعوا إلا تفرقوا عن إجابة).**

وفي آخر **(من رهط أربعين رجلا اجتمعوا فدعوا الله في أمر إلا استجاب لهم ، فإن لم يكونوا أربعين فأربعة يدعون الله عشر مرات إلا استجاب لهم ، فإن لم يكونوا أربعة فواحد يدعو أربعين مرة فيستجيب العزيز الجبار له) .**

وينبغي أن يكون الدعاء بعد التوبة والاقلاع عن المعصية ورد المظالم وإخراج الحقوق والتواصل والتراحم والمواساة والتصدق، فإن ذلك أنجح في المطالب وأسرع إلى إجابة الرب عز شأنه.

ومن أعظم الأسباب في ذلك التوبة والاستغفار ، فإنهما الماحيان للذنب الذي هو السبب الأقوى في ظهور الغلاء والجدب، وقد قال الله عز وجل حكاية عن هود على نبينا وآله وعليه السلام: (**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**).

وعن نوح (عليه السلام) (**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**) قال لهم ذلك لما حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة ، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه: (**إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات وإغلاق طريق الخيرات ليتوب تائب ، ويقلع مقلع ، ويتذكر متذكر ، ويزدجر مزدجر ، وقد جعل سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرزق ، ورحمة للخلق ، فقال : استغفروا ربكم إنه كان غفارا**) إلى آخرها.

وفي خطبة أخرى له (عليه السلام) أيضا (**ولو أن أهل المعاصي وكسبة الذنوب إذا هم حذروا زوال نعمة الله وحلول نقمته وتحويل عافيته أيقنوا أن ذلك من الله جل ذكره بما كسبت أيديهم ، فأقلعوا وتابوا وفزعوا إلى الله جل ذكره بصدق نياتهم وإقرار منهم بذنوبهم وإساءتهم لصفح لهم عن كل ذنب ، وإذا**

لأقالهم على كل عثرة ، ولرد عليهم كل كرامة ونعمة ، ثم أعاد لهم من صالح أمرهم وما كان أنعم به عليهم كل ما زال عنهم وفسد عليهم).

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) **(من أعطي أربعا لم يحرم أربعا : من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة ، ومن أعطي الاستغفار لم يحرم التوبة ، ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة ، ومن أعطي الصبر لم يحرم الأجر).**

والروايات في هذا المعنى أكثر من أن يحيط بها السبر، فلنكتفي بهذا المقدار.

وقد أشار لها جدنا الشيخ محمد إبراهيم الكلباسي (قدس سره) في رسالته إلى سلطان إيران في عصره فتح علي شاه القاجاري حيث أشار في هذه الرسالة إلى أن الدولة تقتحم مهالك ذات عواقب وخيمة من قبيل تسليطها قضاة الجور على الناس، وأن لهذا الأمر نتائج خطيرة على أصول البلاد والعباد، فهو يتسبب في نزول البلاء ومحو البركة، واستشهد بما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) حيث قال في قضاء باطل لأبي حنيفة: **(في مثل هذا القضاء وشبهه تحبس السماء ماءها، وتمنع الأرض بركاتها)**التهذيب: ٧ / ٢١٥.

و بذلك تعرف معنى ما ورد من أن الناس لو أتبعوا أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، فإن هذا تطبيق من تطبيقات هذه السنة الإلهية.

فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (**ولو أن الأمة بعد قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) اتبعوني وأطاعوني لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم**).

وورد عنه (عليه السلام): (**ولعمري لو أن الناس حين قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) سلموا لنا واتبعونا وقلدونا أمورهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم**) .

وبذلك تعرف أيضاً معنى ما ورد عنهم (عليهم السلام) من أن شيعتنا لو استقاموا لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم؛ فإن هذا تطبيق آخر من تطبيقات هذه السنة الإلهية من قبيل ما ورد عنهم (عليهم السلام):(**يا ابن جندب لو أن شيعتنا استقاموا لصافحتهم الملائكة ولأظلهم الغمام ولأشرقوا نهاراً ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولما سألوا الله شيئاً إلا أعطاهم**).

ومن أجل هذه السنة الإلهية نرى أن الأنبياء عموماً حينما يبعثون يبدأون بتغيير الإنسان روحياً ونفسياً، فإذا ما حصل هذا الأمر ترتب على ذلك التغيرات الأخرى في المجتمع.

ولذا نجد أن النبي نوح (عليه السلام) كان يقول إلى قومه (**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**).

وهكذا النبي هود (عليه السلام) فقد كان يقول لقومه: (**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**).

وهكذا النبي محمد (ﷺ) فإنه بدأ بتغيير المجتمع الجاهلي نفسياً وروحياً، فإذا ما تغير المجتمع الجاهلي من هذه الجهة ترتب على ذلك حصول التغيرات الأخرى في المجتمع الجاهلي .

وما هي الأبعاد التي يتناولها التغيير النفسي؟

والجواب: هناك ثلاثة أبعاد يتناولها التغيير النفسي :

١ – البعد العقائدي، وهو ما يتكفله علم العقائد.

٢– البعد المرتبط بفعل الإنسان، ويتكفل به علم الفقه وعلم الأخلاق.

٣–البعد المرتبط بالمشاعر والغرائز، ويتكفل به عموماً علم الأخلاق؛ فإن توجيه المشاعر والغرائز توجيهاً صحيحاً موضوع مهم من موضوعات علم الأخلاق. والشهوات حالة واقعية في حياة الإنسان، ولا يمكن إلغاؤها من نفسه، قال تعالى:(**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ . ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**)؟

والله تبارك وتعالى هو الذي أودع هذه الشهوات في نفس الإنسان لحكمة.

ولكن مع ذلك فقد أمره أن لا يتبع الشهوات بصورة عمياء، بل يتحرك على طبق ما يرشد إليه العقل والعلم.

وكيف يتحرر الإنسان من أسر الغرائز والشهوات؟

والجواب: أن الإنسان بحاجة إلى إرادة قوية تحرره من ربقة العبودية لغرائزه وشهواته.

وبهذه الإرادة القوية يصبح قادراً على أن يتخذ القرار الصحيح، وبدون هذه الإرادة تتحول طاقته وقواه إلى أدوات تتحكم بها الغرائز والشهوات، وتهيمن الغرائز على مملكة الإنسان، وتسيطر عليها سيطرة كاملة حتى يصبح عبداً لشهواته، وتغدو الشهوات إلهه الذي يعبده، كما قال تعالى : (**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**).

وإذا ما نظرنا نظرة دقيقة في الحضارة الغربية، فسنجد أن الحضارة الغربية تقوم على إطلاق عنان الغرائز والشهوات من خلال ما يصبر عنه بالحرية الشخصية .

وعلى العكس من ذلك الدين؛ فإن من أهم أهداف بعثة الأنبياء وتنزيل الكتب السماوية وبالأخص القرآن الكريم هو تحرير الإنسان من أسر العبودية للشهوات .

وقد نقول: أ فهل تحقق هذا الهدف؟

والجواب: نعم، فإن القرآن الكريم وبقية الكتب السماوية تمكنت من تحرير ثلة من المجتمع من أسر العبودية للشهوات .

نعم لا يتوقع أن يمتد تأثير الأنبياء والكتب السماوية إلى كل إنسان، وإنما يحصل التأثير بالنسبة إلى النفوس التي لها استعداد للتأثر .

ومن أمثلة ذلك الخمر؛ فإن تجارة الخمر كانت ضاربة أطنابها في الجزيرة العربية، وقد حرم القرآن الكريم الخمر، ونهى عنه في آيات متعددة.

وبسبب ذلك تحرر كثير من الناس عن هذه الشهوة، فأصبح المجتمع الإسلامي متنزهاً عن هذه الحالة في قسم كبير عن شرائحه بعد أن كان متعوداً عليها.

هذا هو مجمل الكلام عن هذه السنة الإلهية التي تشير إليها الآية الكريمة.

ولعل ما حدث في واقعة الطف هو واحد من تطبيقات هذه السنة الإلهية؛ فإن ما أصاب الناس من بلاء كان نتيجة لما جرى على الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه.

وقد أكد الإمام الحسين عليه السلام (عليه السلام) ذلك حيث دعا عليهم، فقال:(**اللهم احبس عنهم قطر السماء وبركات الأرض، وابعث عليهم سنين كسنيّ يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة، ولا يدع فيهم أحداً إلا قتلهم قتلة بقتلة وضربة بضربة ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم؛ فإنهم غرونا وكذبونا وخذلونا، أنت ربنا فعليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير**).

(نظرة الإسلام للعلاقة الزوجية)

قال تعالى : (**فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**) القصص:٢٩.

الآية الكريمة تشير إلى مقطع من قصة النبي موسى (عليه السلام).

وهناك قسم كبير من القرآن الكريم يهتم بقصصٍ جرت في القرون الغابرة، سواء كانت هذه القصص ترتبط بالأنبياء كقصة النبي يوسف (عليه السلام) أو بالأمم الماضية كاليهود وعاد وثمود وغيرهم أو بالصالحين كالخضر وأهل الكهف أو بالطالحين كنمرود وقارون وغيرهم.

وقد تسأل عن الفائدة في حكاية القصص المرتبطة بالأزمنة الغابرة في القرآن الكريم ؟

والجواب واضح: فإن القرآن الكريم كتاب تربوي هدفه تربية المجتمع، غاية الأمر أنه تارة يتوصل إلى هذا الهدف من خلال الآيات الكريمة بصورة مباشرة ومرة يتوصل إليه بصورة غير مباشرة.

والقصص القرآني هو أساليب تربوية بصورة غير مباشرة؛ فإن القرآن الكريم بحكايته لأحوال المجتمعات السابقة وبعكسه للأحداث التي جرت

في سالف الزمان يبيّن لنا الأفعال السيئة لنتجنب عنها والأفعال الحسنة لنعمل بها.

بل إن التربية من خلال القصص قد تكون أنفع وأشد تأثيراً من التربية من خلال الكلام الجاف الذي لا يتضمن سوى الأمر والنهي؛ فأن التجارب التي يمرّ بها الإنسان أو يشاهدها في غيره يكون تأثيرها على الإنسان أشد من تأثير النظريات الجافة إذا صادفت محلاً قابلاً للتأثير.

وفي غابر الأيام ما يعظ الفتى

ولا خير في من لم تعظه التجارب

ومن أجل ذلك نجد الحث الأكيد في روايات أهل البيت (عليهم السلام) على الاستفادة من التجربة، قال الإمام علي (عليه السلام): **(العاقل من وعظته التجارب)**، وقال (عليه السلام) في وصيته لولده الحسن (عليه السلام):

(...تستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة).

فهذه هي فائدة القصص القرآنية .

هذا مضافاً إلى أن القرآن الكريم بحكايته للقصص في مختلف القضايا قد ضبط لنا حقائق تاريخية مهمة لا يمكن التوصل لها إلا من خلاله؛ فإن ما ينقله القرآن الكريم ويحكيه لنا من القصص لا يمكن التعرف عليه على سبيل الجزم إلا من خلاله؛ فإنه لا توجد مصادر أخرى موثوقة مأمونة من العبث

والتحريف يمكن الاستناد لها في إثبات تلك الحقائق التاريخية التي حكاها لنا القرآن الكريم سواء كانت من الكتب المنسوبة إلى الدين والمحرفة كالتوراة والإنجيل أو كانت من الكتب التاريخية القديمة.

والآية الكريمة تشير إلى مقطعٍ من قصة النبي موسى (عليه السلام) وهو المقطع الذي يتوسط بين لقائه مع النبي شعيب (عليه السلام) و بين ذهابه إلى الوادي المقدس وتكليم (الله) تعالى له.

وهناك عدة آيات كريمة تشير إلى المقطع المزبور:

١- (**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ . إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ . إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**).طه:٩-١٢.

٢- (**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ . إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**).النمل:٦-٧.

٣- (**فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**) القصص:٢٩-٣٠.

والآية الكريمة تشير إلى القضية التي جرت بين النبي موسى (عليه السلام) والنبي شعيب (عليه السلام) فإن المراد بالأجل المشار له في الآية الكريمة هو الأجل الذي ضربه النبي شعيب (عليه السلام) للنبي موسى (عليه السلام) والذي أشير له في الآيات السابقة .

قال تعالى: (**وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ . فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ . قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**).

ثم أشارت الآية الكريمة إلى توجهه تلقاء مدين، فقالت: (**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ . وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ . قَالَ مَا خَطْبُكُمَا . قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ . وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**).

إلى آخر الآيات الكريمة .

وتوضيح ذلك أن النبي موسى (عليه السلام) لما مرّ على مدين مرّ ببئر يوجد حوله ازدحام، حيث كانت الناس مكتظة حوله لاستسقاء الماء.

وهذا معنى الآية الكريمة : (**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ**) وهذا لا ينافي أنه كان على سواء السبيل؛ إذ هو من قبيل قول المعصوم (عليه السلام) : (اهدنا الصراط المستقيم) فالمقصود طلب الاستدامة على ذلك، ولعل هذا الدعاء ربطٌ بالرسالة التي نالها في سفره (**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ**

مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ) أي لما بلغ ماء مدين، ووصل إليه وجد عليه جمعاً كثيراً من الناس: **(وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ)** أي من الجهة التي جاء منها، فوصل إلى المرأتين قبل وصوله إلى الأمة **(امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ)** أي تحبسان، وتمنعان غنمهما الماء خوفاً من السقاة الأقوياء. **(قَالَ مَا خَطْبُكُمَا)** أي ما شأنكما فأخبرتاه بخبرهما، وأن أباهما شيخ كبير، فلا يستطيع لضعفه أن يباشر أمر غنمه، وأما هما فلضعفهما وقلة طاقتهما لا تقدران على مزاحمة الأقوياء؛ فلذا كانت عادتهما هي الـتأني حتى يصدر الناس عن الماء، ويخلو، وحينئذ يرِدان **(قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ)** وهو جمع راعٍ، أي حتى تصدر مواشيهم عن وِردهم **(وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)**.

فلما رأى النبي موسى البنتين، ورأى أنهما لا يتمكنان من التدافع مع الناس رق لهما موسى، وقرر أن يساعدهما في الاستسقاء، وكان نبي الله موسى (عليه السلام) رجلاً طويلاً قوي البدن والعضلات، فعمد إلى بئر كانت مغطاة بحجر ثقيل، لا يرفعه إلا عدة رجال، وكان الناس يسقون من غيرها، فدفعه، وأزاله وحده، وسقى لهما الماء، ومن أجل رفع هذا الحجر الثقيل وصفته المرأة بالقوة **(فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ)** أي ظلّ شجرة على ما ذكره بعض المفسرين **(فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)** وذكر بعض المفسرين أن مراده بالخير الطعام، حيث إنه كان شديد الجوع، وهو محتمَل، ولكنْ لا دليل عليه.

فذهبتا إلى أبيهما سريعتين على غير عادتهما، حيث كانت عادتهما الإبطاء في السقي، فحدثتاه بما كان من الرجل الذي سعى لهما، فأمر إحدى ابنتيه أن تدعوه له .

(فَجَاءَتْهُ) ولعل الإتيان بالفاء فيه دلالة على ارتباط مجيئها بدعائه **(إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ)** ولعل الاستحياء من جهة أنها كانت قد بيّنت الإعجاب به ونية الزواج به، فأتت، وكان لها هذا الأمل أو من جهة شدة تأدّبها وعدم خلطتها مع الرجال بحيث كانت تستحي من الكلام معهم .

و قيل إن اسم إحداهما ليا، والأخرى صفوريا ابنتا يثرون، أي النبي شعيب (عليه السلام).

(قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) فقال لها موسى لا تمشي أمامي وترشديني، بل كوني ورائي؛ فإني رجل، ودليني على الطريق يميناً ويساراً، وهذا هو سبب وصفها له بالأمانة، و أما وصفها له بالقوة فقد عرفت سببه .

فأجاب الدعوة موسى، والظاهر أن إجابة الدعوة ليقص عليه القصص لا ليأخذ أجر ما سقاه، فلما وصل موسى قصّ عليه أمره من أوله إلى آخره، فآنسه النبي شعيب بقوله **(فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ . نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** حيث كانت مدين خارجة من مملكة فرعون .

و قيل: إنه قرب طعاماً إلى موسى، فقال موسى: لا آكل، إنّا أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهباً، فقال شعيب: ليس هذا عوض السقي، ولكن عادتي وعادة آبائي قري الضيف وإطعام الطعام، فعندها أكل موسى (**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ . إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**) ولعل هذا القول لم يكن بعلم موسى (عليه السلام) ولعله كان فيه إيحاء للنبي شعيب (عليه السلام) بتزويجها منه.

(**قال إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ**) فعرض عليه النبي شعيب (عليه السلام) أن يتزوج إحدى ابنتيه على أن يستأجره، فهو عقد واحد، هو إجارة، وهو نكاح، ولم يذكر المتعلق، ولعله من جهة العلم به، فإن المقصود من هذه الإجارة في كلام المرأة هو ما يرتبط بالعمل الذي قام به لهم، وهو رعي الأغنام؛ فلذا كان يهش بعضه على غنمه.

و مدة الإجارة هي ثماني سنين، أي ثماني حجج، فإن أضاف سنتين فهذا تبرُّع منه، فقبل النبي موسى (عليه السلام) وهذا الذي جرى بينهما يخالف القواعد الفقهية القاضية بلزوم تعيين الزوجة، فإما أن يقال: إنه عرْض لا عقد و إن كان قد ينافيه (**وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**) أو يقال: إنه منسوخ.

وهكذا ينافي القواعد من جهة أخرى، وهي أن المهر للزوجة لا للولي بل لا يحق للولي أن يشرط له أمراً مقابل رضاه، ولو كان هناك مهر زوجة فإنه مأمور بالرضا في ما إذا كان في الزواج مصلحة.

فأما أن يقال: إن هذا جائز في شريعة موسى (عليه السلام) ولكنه غير جائز في شريعتنا فهو منسوخ، أو يقال: إنها قد أخذت المهر و أعطته شعيباً، أو يقال: إن شعيباً أعطى الملك الحاصل بالإجارة لابنته .

(قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ . فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ . وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ . سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ).

(قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ . أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ . وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ).

وروي عن أبي ذر أنه قال: **(قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن سألت أيّ الأجلين قضى موسى فقل خيرهما وأوفاهما، وإن سألت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى، و هي التي جاءت خلفه، وهي التي قالت : (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ))**.

ولما قضى السنين العشرة سافر موسى مع أهله.

وهذه الآية الكريمة يستدل بها الفقهاء على أنه يجوز أن يكون مهر المرأة عملاً وخدمة.

وقد تقول: إن العمل لا يصدق عليه أنه مال، والمال لا يصدق عليه أنه عمل، فكيف يصح أن يكون العمل مهراً؟

والجواب: أن المال عمل مجمّد، فإن العمل فيه إشباع مباشر للحاجة كالأعيان المتمولة كالدار ورغيف الخبز والثوب؛ فإنها بأشد الحاجة بصورة

مباشرة، حالها في ذلك حال الأعيان المتمولة بخلاف النقود؛ فإنه لا يوجد فيها إشباع مباشرة للحاجة.

فإذا جاز أن يكون المال مهراً ـ والحال أنه لا يوجد فيه إشباع مباشر للحاجة فالأَولى أنه يجوز أن يكون العمل ونحوه من الأعيان المتمولة مما فيه إشباع مباشر للحاجة مهراً.

فالآية الكريمة يستفاد منها أنه يجوز أن يكون العمل مهراً في الشرائع السابقة، و بضم أصالة عدم النسخ يُستفاد أن الحكم باقٍ في شريعتنا.

وهنا قضية جانبية، وهي أنّا إذا تتبعنا أحكام الإسلام في المهر وجدنا أنه غير متشدد بل متساهل.

فالمهر

١. يجوز أن يكون عملاً، ولا يلزم أن يكون نقوداً كما عرفت.

٢. أن المعتبر أن يكون هناك مال، ولا يلزم أن يكون كثيراً، بل يصح جعل المهر مالاً قليلاً، فيجوز أن يكون المهر رغيفاً من الخبز مثلاً.

وفي ذلك يقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لبعض أصحابه حيث أراد الزواج، ولم يتمكن من توفير مهر عالٍ: **(التمسْ ولو خاتماً من حديد)**.

وهو نفسه (صلى الله عليه وآله) كانت معظم تزويجاته بمهر بسيط جداً. و قد زوج ابنته فاطمة (عليها السلام) من علي (عليه السلام) بدرع باعه بأربعمائة وثمانين درهماً.

٣. يصح المهر أن يكون ديناً في الذمة .

٤. أن الإسلام لم يجعل المهر ركناً في الزواج؛ فإنْ ذُكر مهرٌ معين فهو، وإلا انصرف إلى مهر المثل، وكان العقد صحيحاً ولو لم يذكر المهر.

ومن بعد هذه الجولة السريعة في بعض أحكام المهر نستنتج أن هدف الإسلام من التساهل في المهور هو أنه لا يريد أن يجعل أيّ عقبة في طريق الزواج.

فالإسلام يريد كسر الطوق المادي الناتج من غلاء المهور الذي يلعب دوراً مهماً في الحيلولة بين كثير من الناس وبين الزواج.

وكلما تنوّعت وسائل الحياة ازدادت هذه التكاليف حتى بنت سداً مرتفعاً وحاجزاً كبيراً وقف على جانبٍ منه جيش من العزّاب، وعلى الجانب الآخر جيش من العوانس ، وانعكست عنه مآسٍ كثيرة، وإلى اليوم لم يجد الناس حلاً لهذه المشكلة.

وعدم وجدان الحل ناتج من أن مجتمعاتنا مجتمعات إسلامية بالاسم وبعض المظاهر، و ليس فيها من الروح الإسلامية شيء، بل تحركها التيارات والاعتبارات الأجنبية .

فالأب يرى من الهوان أن يزوج ابنته بمهر قليل، وأن هذا العمل سيسلكه في طبقة اجتماعية واطئة، وفي نفس الوقت فإن من يريد الزواج يحترم من يطلب مهراً أكبر، ويرى فيه أنه من أسرة راقيه وإن حزّ في نفسه العجز عن دفع المهر الضخم، و هذه الأمزجة النفسيه عند الطرفين حدثت

نتيجة التأثر بأطُر تربوية وحضارية غير إسلامية، وإلا فإن مزاج الإسلام يختلف تماماً عنها؛ فإنه لا يريد أن يجعل أي عقبة في طريق الزواج؛ ولذا تساهَلَ في المهر، ولم يتشدد فيه كما عرفت.

ومن أجل ذلك لم نجد أن الإسلام يفرض قيوداً زائدة من الزواج؛ فلم يعتبر الشهود في عقد النكاح، وشرع النكاح المنقطع، ولم يعتبر إذن الولي إلا في الباكر على المشهور، إلى غير ذلك من الأحكام المبثوثة في علم الفقه .

وعلى العكس تماماً كان موقف الإسلام من الطلاق؛ فنجد أنه قد يتشدد فيه؛ فلذا اعتبر الإشهاد فيه، واعتبر التطليقات الثلاث في مجلس واحد تطليقة واحدة، والإسلام يعبّر عن الطلاق بأنه يهتزُّ منه العرش؛ فقد ورد عنهم (عليهم السلام): **(تزوجوا ولا تطلقوا؛ فإن الطلاق يهتز منه العرش)** الوسائل:٢٢ / ٨.

وما ذاك إلا لما فيه مفاسد، وخصوصاً إذا كان هناك أولاد؛ فإن ابن المطلقة يتعرض إلى أسوأ الفروض، فلا ينبغي بعد هذا أن تهدم الأسرة لأتفه الأسباب .

هذا في المذهب الجعفري، وعلى العكس تماماً بقية المذاهب الإسلامية، فهي قد تشددت في النكاح؛ فلذا اعتبرت الإشهاد عند النكاح، ومنعت العقد المنقطع، بينما تساهلتْ في الطلاق؛ فلذا لم تعتبر الإشهاد في الطلاق، وجوّزت حصول الطلاق البائن بثلاث تطليقات في مجلس واحد.

والخلاصة: أن إلقاء نظرة سريعة في شرائط الزواج في الإسلام تعطي صورة واضحة عن أن الإسلام لا يريد أن يضع عقبة في طريق الزواج؛ ولذا حث على التزويج المبكر؛ فقد ورد (**أن من سعادة المرء أن لا تطمث ابنته في بيته**)الوسائل: ٢/ ٦٤.

وعلى أن لا ينظر أهل البنت في الزوج إلى ماله ومنصبه وما إلى ذلك من العقبات الدنيوية، بل يلزم أن ينظروا إلى خلقه ودينه؛ فقد ورد عن أبي جعفر (عليه السلام) عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): (**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، وإلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**) الوسائل: ٢٠/ ٧٧.

وما دام هذا هو موقف الإسلام فلا ينبغي لنا ـ نحن المسلمين ـ أن نضع العقبات أمام زواج الأولاد والبنات.

ومن أبرز العقبات الموجودة بمجتمعاتنا الإسلامية أمام الزواج هي غلاء المهور.

وينبغي أن يعلم أن المهر الغالي لا يحقق السعادة للمرأة؛ ولذا قد تجد بيتاً خالياً من أيّ معنى من معانى السعادة، مع أن مهر المرأة فيه كان ثمناً باهضاً، وإنما الذي يحقق السعادة بين الزوجين هو المحبة وحسن الخلق والانسجام الكامل بينهما.

كما أن من أبرز العقبات الموجودة في مجتمعاتنا الإسلامية أمام الزواج هي ملاحظة الوضع الطبقي والمنصب الاجتماعي للرجل والمرأة، والحال أن

الإسلام قد أكد على أن المسلم كفْء المسلم، فليس من المهم أن يكون عند الرجل جاهٌ أو ثروة أو منصب، وإنما المهم أن يكون عنده إيمان واستقامة وحسن خلق .

ومادامت هذه هي تعاليم الإسلام فاللازم على من نصبوا أنفسهم ولاة على رقاب المسلمين أن يشجعوا على عدم المغالاة في المهور، وليكونوا قدوة للآخرين، و لكن - ومع الأسف - نجد الأمر على خلاف ذلك، فنرى مصعباً مثلاً حينما كان والياً على العراق قد تزوج بامرأة بمليون مما اضطر شاعراً من شعراء المسلمين أن يكتب لأخيه عبد الله بن الزبير شعراً، وكان ذلك في أيام خلافته :

أبلغ عميد ابن الزبير رسالة

من مؤمن لك لا يريد متاعا

بضع الفتاة بألف الفٍ كامل

وتبيت سادات الجنود جياعاً

فلو أنني الفاروق أُخبر بالذي

شاهدته ورأيته لارتاعا

ويعني بأبي حفص عمر بن الخطاب حيث نهى عن غلاء المهور.

وعلى هذه الطريقة كانت سيرة الخلفاء الأمويين والعباسين وعمالهم، وأما ما صبغه المأمون في زواجه ببوران بنت الحسن بن سهل فأمر لا يطاق .

ثم قالت الآية الكريمة (**وَسَارَ بِأَهْلِهِ**).

قد استفاد بعض المفسرين من هذه الآية الكريمة أن الرجل له قوامته على المرأة في البيت، بمعنى أنه يحق للزوج أن يأخذ امرأته إلى أي مكان يريد، إلا أن تشترط الزوجة خلاف ذلك.

وقد أشار إلى ذلك القرطبي في تفسيره١٣ / ٢٨١، ولا يخلو من نظر.

ولكنْ في مقابل قيمومة الرجل على المرأة جعل الإسلام حقوقاً للمرأة وواجبات على الرجل، فأثبت عليه بعض المسؤوليات كوقاية أهله من المهالك، قال تعالى: (**قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**)، وكالعِشرة بالمعروف، قال تعالى: (**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**) وقال تعالى: (**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**).

وقد حثت التعاليم الإسلامية كثيراً الزوج على حسن التعامل مع المرأة، وأن يكون التعامل معها برفق ولين لا بخشونة وقساوة وفظاظة، وعلى إكرامها واحترامها.

قال تعالى : (**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً**).

وقال تعالى: (**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**) و روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال في خطبته التي خطبها في حجة الوداع: (**ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوارٍ عندكم (أي أمانات) ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن**

يأتين بفاحشته مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً.

ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولهن عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فراشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون.

ألا وإن حقهنَّ عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وإطعامهن) .

وروي عنه (ﷺ) أنه قال: (**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي. ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم**)... إلى غير ذلك من النصوص الدينية في المرأة .

وعليه: فالتربية الدينية تقتضي من الرجل أن يحسن تعامله مع الزوجة، ومن نماذج حسن التعامل أن يحمل على وجهه علامات البشر والفرح إذا دخل على أهله، وأن لا يرفع صوته عليها وأن يطلب منها حاجته برفق واحترام، إلى غير ذلك من مصاديق، فحسن التعامل والعشرة يصعب ضبطها لاختلافها باختلاف خصوصيات الموارد.

بل إن هذا أمر عقلي قبل أن يكون شرعياً، فإن المرأة ما دامت هي شريكة الرجل في همومه، وما دامت هي المعين للرجل على مواجهة مشاكل ومصاعب الحياة وحلها، فلا ينبغي له أن يقسو عليها وأن يظلمها، خصوصاً وأنها ضعيفة، وظلم الضعيف أفحش الظلم، ويكفي المرأة ما تقوم به في البيت من واجبات في خدمة زوجها وأولادها.

وطبعاً حينما نتكلم عن المرأة فإنما نعني بها المرأة التي رباها الإسلام، التي هذبها الإسلام، التي تسير ضمن القناة الإسلامية، وأمّا المرأة المنحرفة أو الخارجة عن تعاليم الإسلام فلها حديث آخر.

ومن أجل أهمية حسن العشرة في نظر الشارع ورد أن سوء الخلق مع العيال يوجب الضغطة في القبر كما ورد في قضية سعيد بن معاذ .

وعلى كلّ: فالأسرة التي لا تظللها أجواء الحنان والعطف والرحمة من الطرفين هي أسرة فاشلة وغير ناجحة، وسرعان ما ينتهي بها الأمر إلى الانهيار أو توجّع الطرفين توجّعاً بليغاً.

ثم قالت الآية الكريمة : (**فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا**) أي أبصر ناراً من الجهة التي تلي الطور، فأبصر هذه النار من بعيد، فقصد الذهاب لها (**قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا**) أي أقيموا مكانكم (**إِنِّي آنَسْتُ نَارًا**) أي أبصرت ناراً، ولعله يفهم من الآية الكريمة أن النار كانت بعيدة بحيث لم يتمكن من رصدها من قبل موسى (عليه السلام).(**لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ**) بأن يجد هناك من يدله على الطريق حيث أنه أخطأ الطريق (**أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**) أي يأتي بقبس من نار لينير المكان له ولأهله .

وكان موسى رجلاً غيوراً، يصحب الناس بالليل، ويفارقهم بالنهار غيرة منه لئلا يروا زوجته، فأخطأ الرفقة، ولا يدري هو أين الطريق، وكانت الليلة مظلمة باردة مثلجة حيث كان الفصل هو الشتاء، وكان قد ضرب

زوجته الطلق في الطريق لما بصر هو هذه النار، ولعل إبصاره هو وحده دون زوجته للنار لبعدها أو لشأنها الغيبي، فهي ليست ناراً طبيعية حتى يطلع عليها أي أحد، فتوجه نحو النار، فإذا النار في الشجرة، فوقف متعجباً من حسن ذلك الضوء وشدة خضرة تلك الشجرة، فلا شدة حر النار تغير حسن الخضرة، ولا كثرة ماء الشجرة ولا قوة الخضرة تغيران حسن ضوء النار .

وكانت هذه النار (زرقاء تنبع من الشجرة) .

فلما وصل هناك سمع الكلام الإلهي من تلك الشجرة (**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ . إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**).

وقد يقال: إن الكلام ينشأ من تكيّف الهواء داخل الحنجرة، فما معنى وصفه تعالى بأنه قد كلم موسى (عليه السلام)؟

والجواب: أن الحنجرة هي سبب تكيف الهواء، وليست دخيلة في معنى الكلام، وعليه ممن يوجد الكلام بدون حنجرة في جسم معين يصح وصفه بأنه متكلم .

وأين يقع الوادي المقدس (الطور)؟

فيه أقوال:

١.أن الطور هو موقع في الشام (الأردن،سوريا،لبنان،فلسطين) وعلى الأكثر هو جبل القدس على هذا القول.

٢.أن الطور هو كل جبل ينبت عليه التين . وعليه فتكون النجف على هذا القول مصداقاً للطور؛ فإن النجف كانت من منابت التين. كما أنها كانت جبلاً عظيماً، وهو الجبل الذي قال عنه ابن نوح (عليه السلام): (**سَآوِي إِلَى جَبَلٍ...**) ولم يكن على وجه الأرض جبل أعظم منه.

فأوحى الله إليه: يا جبل أيعتصم بك مني؟ فتقطع قطعاً إلى بلاد الشام، وصار رملاً دقيقاً، وصار بعد ذلك بحراً عظيماً، وكان اسم ذلك البحر (نيّ) ثم جف بعد ذلك، فسمي نيّجف ثم سمي بعد ذلك نجف؛ لأنه أخف على ألسنتهم كما روي.

والنجف الحالي هو ظهر الكوفة قديماً، والذي يعبرون عنه بـ(لسان البر) وكان يقع بين نهر السدير ونهر العذير، حتى يصل إلى البطن، فما قرب من الفرات يسمى الملطاط (وهو بمعنى شاطئ النهر) وما قرب من البطن يسمى النجاف.

ولا تصور أن مدينة النجف قد وجدت أيام الشيخ الطوسي، كلا بل هي تسبق الشيخ الطوسي بآلاف السنين، فهي دار هجرة الأنبياء ومهبط الأولياء، وعليها استوت سفينة نوح كما في بعض الأحاديث، وبها كان منزل إبراهيم الخليل (عليه السلام) وإليها كانت هجرته .

٣.أن الطور هو النجف بالذات، فهو الذي جرت عليه المناجاة، وكلم الله موسى تكليماً، وأن الوادي المقدس الذي إلى جانب الطور هو وادي

السلام الذي هو مأوى أرواح المؤمنين والمؤمنات الذي احتضن أجيالاً وأجيالاً.

روى في الكافي في باب أرواح المؤمنين٣ / ٢٤٣عن حبة العرني :

قال: (**خرجت مع أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الظهر، فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام.**

فقمت لقيامه حتى أعييت ثم جلست حتى مللت ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أولاً ثم جليت حتى مللت ثم قمت وجمعت ردائي فقلت:

يا أمير المؤمنين إني قد أشفقت عليك من طول القيام، فراحة ساعة ثم طرحت الرداء ليجلس عليه.

فقال لي: يا حبة إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته، قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإنهم لكذلك؟

قال: نعم ولو كشفت لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون.

فقلت: أجسام أم أرواح؟

فقال: أرواح.

وما مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه الحقي بوادي السلام، وإنها لبقعة من جنة عدن) وهذا الحديث هو أصل مقولة: ما من مؤمن يموت في شرق الأرض أو غربها إلا قيل لروحه الحقي بوادي السلام.

قال الديلمي في إرشاد القلوب٢ / ٤٣٩:(**وروي عن الصافي بن زيد الهمداني الكوفي، وكان رجلاً صالحاً متعبداً قال: كنت في جامع الكوفة ذات ليلة، وكانت ليلة ممطرة، فدق باب مسلم جماعة، ففتح لهم، وذكر بعضهم أن معهم جنازة، فأدخلوها وجعلوها على الصفة اتجاه باب مسلم بن عقيل (رض).ثم إن أحدهم نعس فنام فرأى في منامه قائلاً يقول للآخر : ما نبصره حتى نبصر، هل لنا معه حساب أم لا؟ فكشف عن وجه الميت، وقال لصاحبه: بل لنا معه حساب، وينبغي أن تأخذه معجلاً قبل أن يتعدى الرصافة، فما يبقى لنا معه طريق، فانتبه وحكى لهم المنام).**

فإذن خرج موسى من مدين التي تقع بين المدينة والشام متجهاً إلى مصر، فكلمه تعالى، وأرسله الله تعالى، وهو في طريقه لمصر، أي في العراق في النجف في وادي السلام.

وبقرب موضع تكليم موسى لله تعالى أصاب زوجته الطلق، وولدت. والإسلام يعطي المرأة في حالة الوضع والولادة أجر الشهيد، ويعتبر مجاهدة في ميدان اجتماعي.

فكما أن الرجل يجاهد في ميادين الحرب ليحافظ على بلاده و شعبه بل إن بعض النساء قد شاركن فعلاً في القتال مع الرجال في ساحات الحرب والجهاد كأم عمارة وغيرها فكذا المرأة فهي تجاهد لتمد المجتمع بالبقاء، ولكنْ

في ميادين السلم؛ وذلك لأنها تتعرض في ساعات الولادة إلى مشقة لا حدود لها.

(نظرة الاسلام الى الزوجة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**)الفرقان/ ٧٤..

هذه الآية الكريمة جاءت في سياق الآيات الكريمة التي تشير إلى خصائص وصفات عباد الرحمن، قال تعالى: (**وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**) وتستمر الآية الكريمة في ذكر مجموعة من الخصائص والصفات إلى أن تصل إلى هذه الخصيصة.

والآية الكريمة تشير إلى أن الزوجة الصالحة للإنسان والولد الصالح له هو هبة من الله تعالى، وعليه فإذا ما أراد الإنسان تحصيل هذه النعمة فينبغي أن يطلبها من الله تعالى لا من الأسباب المادية فقط .

كما أن الإنسان إذا ما اكتسب هذه النعمة فينبغي أن يعرف أن المتفضل الأول عليه هو الله تعالى، فهو الواهب لهذه النعمة، والهبة عبارة عن المنحة والعطية بلا عوض.

وهذه القضية لا تختص بهذه النعمة، بل تعم جميع النعم، وخصوصا الهداية للأزواج والذرية ومقام إمامة المتقين .

فكل نعمة – سواء كانت هي الزوجة الصالحة أو الولد الصالح أو غير ذلك – هي هبة من الله تعالى ومنحة وعطية بلا عوض، والمتفضل الأول فيها هو الله تعالى لا السبب المادي لها ، وإذا كان معطيها هو الله تعالى، فينبغي أن تطلب هذه النعم منه تعالى لا من غيره – مع حفظ قاعدة (**وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا سبباً**) وحيث أن عباد الرحمن يدركون هذه النقطة جيداً؛ فلذا تجدهم لا يلتجؤون في تحصيل النعم مطلقاً ـ وخصوصاً النعم المشار لها ـ إلا إلى السبب الحقيقي لها وهو الله تعالى .

فالجانب العملي ـ وهو المطلوب من الله تعالى ـ يعتمد على الجانب العلمي، وهو معرفة الواهب الحقيقي، وهو انعكاسٌ للواقع، فواقع الحال أن الواهب الحقيقي منحصر به تعالى لا أن هذا مجرد تلقين يلقِّن به نفسه.

وهنا قضية أخرى يمكن استفادتها من الآية الكريمة، حيث أن الآية الكريمة قدمت الأزواج على الذرية، فما هي النكتة من ذلك؟

لعل النكتة هي أن صلاح الزوجة هو سبب مهم من أسباب صلاح الولد، وحيث أن الله تعالى أبى ـ في عالم الطبيعة ـ إلا أن يُجري الأمور بأسبابها الطبيعية في الحالات الطبيعية؛ فلذا ينبغي للإنسان الذي يريد ولداً صالحاً ألّا يطلب ذلك من خلال الدعاء فقط، بل من خلال الدعاء مع ضم السعي إلى تحصيل زوجة صالحة.

وبتعبير آخر: أن الولد الصالح ليس هو من الهدايا التي تمنح للإنسان بلا مقدمات وبلا أسباب، بل من الهدايا والهبات التي تضمن عليه بعد حصول السبب المادي، وهو صلاح الوالدين؛ فإن الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك، فإن أنت لم تأته أتاك – كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) – والأول هو الرزق الذي لا يستحصل إلا من خلال سبب مادي بخلاف الثاني، والولد الصالح هو من القسم الأول في الحالات الطبيعية.

نعم توجد حالات استثنائية يكون الولد فيها صالحاً رغم عدم صلاح أبويه، كما نجد ذلك في محمد بن أبي بكر.

حكى لي المرحوم الوالد (رحمه الله تعالى) في صغري أنه بعد أن وضعت حرب الجمل أوزارها جاء محمد إلى أخته عائشة، ووضع يده على شعرها، فقالت: من هذا الذي وضع يده في موضعٍ كان يضع رسول الله يده عليه؟ فقال: أنا محمد بن أبي بكر، فقالت: هذا الطالح بن الصالح؟ فقال لها: بل الصالح بن الطالح.

وقد ربط الله تعالى في دار الدنيا المسببات عموماً بأسباب خاصة، كما قال تعالى : (**وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا سبباً**) وهذا لا يختص بقوانين الله تعالى في الفرد، بل هو جارٍ في قوانين الله تعالى في الكون كما قال تعالى : (**إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**).

وعليه فيلزم الإنسان ـ إذا ما أراد نسلاً صالحاً ـ أن يسعى لتوفير الزوجة الصالحة وأن يسعى لإنشاء أسرة صالحة كي ينعكس هذا الصلاح الذي في الأسرة وفي الأبوين على الذرية.

وعليه فكما ينبغي للإنسان أن يسعى إلى أصل الزواج، فإن من تزوج فقد ضمن نصف دينه، فيلتق الله في النصف الآخر، كما ورد في الأثر، فينبغي له أن يعتني في انتخاب زوجته، فينبغي أن يكون اختيارها على أساس الإيمان والدين والأخلاق لا على أساس المال والجمال .

والذي على الإنسان هو السعي والطلب، وأما النتائج فهي من الله تعالى، فإذا سعى إلى تحصيل الزوجة الصالحة، فإن انتهى إلى تحصيلها فذاك، وإلا فهذا يعني أن هذا الرزق ليس من الرزق المقسوم له .

وطوبى للولد الذي تكون أمه عفيفة، وهنيئاً له على ما يناله من بركات من عفة أمه وأبيه.

ولا ينحصر تأثير صلاح الوالدين على صلاح الولد بحسب التربية و حوها بأن هذا التأثير يمتد إلى مستويات أخرى، فقد أشارت الروايات إلى أن اللبن الذي يرتضعه الولد له تأثير عليه، ولعل هذا من أحد أسباب كراهية أن تكون المرضعة ممن هي فاسدة العقيدة، والحث على انتخاب المرضعة ذات المواصفات الجيدة .

وهنا قضية أخري يمكن استفادتها من الآية الكريمة، وهي أن الله تعالى يبارك في الإنسان المؤمن، فيجعله مصدر خير ونفع للمجتمع، وأن سنة الله تعالى في خلقه تقتضي أنّ الله تعالى ليصلح بصلاح الرجل أهله وحتى جيرانه

فظهر أن إنشاء الأسرة الصالحة من النعم العظيمة التي ينبغي للإنسان أن يجهد نفسه في تحصيلها من خلال الدعاء والسعي .

وكما أنه ينبغي للإنسان أن يجهد نفسه في تحصيل هذه النعمة ينبغي له أن يجاهد في إبقائها وصيانتها، وكيف ذلك؟

هناك عدة عوامل تعين على بقاء الأسرة وعدم تفتيتها ينبغي أن تتوفر في الزوجين:

١- حفظ أسرار الأسرة: إن من أهم الشؤون لتثبيت الأسرة هو حفظ أسرار الأسرة والأمانة عليها في الأموال وفي الأولاد وفي غير ذلك من القضايا المرتبطة بها .

وفي المقابل فإن فقدان الثقة بين الزوجين سبب مباشر من أسباب انهيار الأسرة .

٢- الصبر: إن الصبر عنصر أساسي لديمومة كل كيان ، وإذا صار القرار والبناء على الغضب للأسباب البسيطة فهذه الأسرة سوف لا يكتب لها النجاح والبقاء؛ إذ إن أقل ثورة غضب لعلها تكون سبباً لانهدام هذه الأسرة وانهيارها.

٣- التعاون: إن التعاون عنصر أساسي لنجاح كل مشروع، فإذا ما أريد للأسرة النجاح يلزم أن يكون هنا تعاون في ما بين الزوج والزوجة، وكما يلزم أن تعين الزوجة زوجها فكذلك يلزم أن يعين الزوج زوجته في أمور البيت والمنزل، فإن من أعان زوجته في أمور بيته وهبه الله تعالى مقداراً كبيراً من الحسنات؛ فإن إعانة الزوج لزوجته مصداق من مصاديق إعانة المؤمن الذي ورد الحث عليه في النصوص الدينية، فقد جاء في رسالة الإمام الصادق(عليه السلام) لأصحابه: (**وليعن بعضكم بعضاً فإن رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **كان يقول: إن معونة المسلم خير وأعظم أجراً من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام**).

٤- احترام الزوجة: إن من أهم العوامل لنجاح الأسرة وديمومتها احترام الزوج لزوجته وإعطائها حقوقها المشروعة التي ضمنها لها الإسلام .

وقد ورد الحث في النصوص الدينية على احترام الزوجة، فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) :(**الله الله في النساء وفي ما ملكت أيمانكم، فإن آخر ما تكلم به نبيكم** (عليه السلام) **أن قال: أوصيكم بالضعيفين النساء وما ملكت أيمانكم**).

ثم قالت الآية الكريمة (**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**).

وقد ورد في بعض النصوص أن هذه الآية الكريمة قد نزلت في أهل البيت (عليهم السلام) فقد ورد عن أبان بن تغلب، (**قال: سألت أبا عبد الله** (عليه السلام) **عن قول الله عز وجل : (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا**

وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) قال: هم نحن أهل البيت).تفسير البرهان:٤ / ١٥٦.

و عن كثير بن عباس عن أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام):**في قول الله عز وجل: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) قال : أي هداة يهتدى بنا، وهذه لآل محمد (عليهم السلام) خاصة**)تفسير البرهان: ٤ / ١٥٦.

فالله جل وعلا قد جعل أهل البيت (عليهم السلام) سادة للبشر وأئمة عليهم.

وقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال في حق أمير المؤمنين (صلى الله عليه وآله) أمام الخاص والعام ما معناه: يا علي أنت إمام المتقين، فقد ورد عن جابر بن عبد الله أنه قال: **(قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي: أنت إمام المتقين وقائد الغر المحجلين**) البحار: ٣ / ٢٤.

ومن جهة إمامته وافتراض طاعته فإنه ميزان الأعمال، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) **(أنه سئل عن قوله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ) فقال: هم الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام)**)ميزان الحكمة: ٤/ ٣٥٢٠.

وقد عبر عنه (عليه السلام) بأنه ميزان الأعمال، فقد ورد في بعض زياراته (عليه السلام).

(السلام على ميزان الأعمال وسيف ذي الجلال) المزار للشهيد الأول: ٤٦. وقد فسره العلامة المجلسي (قدس سره) بأنه إشارة إلى ما ورد في الأخبار الكثيرة أنهم موازين الخلق وأنهم يحاسبون الخلق. البحار: ٩٧ / ٢٩١.

و لم نعثر على رواية عبرت بـ(ميزان الأعمال) عن إمام آخر وإن كانوا كلهم موازين للأعمال كما عرفت.

وقد ورد وصف السبطين الحسن والحسين (عليهما السلام) أنهما سيدا شباب أهل الجنة، فقد روي عن جابر عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) أنه قال : **(...فهما طاهران مطهران، وهما سيدا شباب أهل الجنة، طوبى لمن أحبهما وأباهما وأمهما، وويل لمن حادهم وأبغضهم)** بحار الأنوار: ٢٢/ ١١٠ .

وعن أبي الطفيل عن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) قال: **(سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: أنا سيد النبيين وعلي بن أبي طالب سيد الوصيين والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة والأئمة بعدهما سادة المتقين ...)**.

و أما فاطمة الزهراء (سلام الله عليها):فهي تتمتع بمنزلة عظيمة أيضاً، فهي سيدة نساء العالمين، ففي مسند أبي داود الطيالسي١٩٦ **(أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لها: (يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء هذه الأمة...)** قد ورد ذلك في عدة أخبار من طرقنا، نحو ما جاء في معاني الأخبار:١٠٧، وهي سيدة نساء أهل الجنة.

قال في الميزان:٣ / ٢١٥ **(وفيه- أي في الدر المنثور- أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن فاطمة رضي الله عنها، قالت : قال لي رسول الله (ﷺ): أنت سيدة نساء أهل الجنة لا مريم البتول)** .

وإن الله يرضى برضاها ويغضب بغضبها، فقد روى الحاكم في المستدرك: ٣ / ١٥٤ عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنه قال: **(قال رسول الله (ﷺ) لفاطمة : إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك)** ثم قال: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه) وكان رسول الله (ﷺ) يقبل يدها.

روى أبو داود السجستاني: ٢ / ٥٢٢ عن عائشة أنها قالت:

(ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً ودلاً برسول الله (ﷺ) من فاطمة كرم الله وجهها، كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلتها، وأجلسته في مجلسها).

الفهرس